

بِسْمِ اللَّهِ
قِصَصٌ قَصِيْرَةٌ



المؤلفة: رانيا ثروت

الكتاب: باستيل

مجموعة قصصية

الطبعة الأولى: 1441هـ - 2019 م

© جميع حقوق الطباعة والنشر الورقي والإلكتروني محفوظة

مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر

ب ض: 03 - 11 - 520 - 00408 - 5 - 022

س ت: 9882

الإسكندرية - مصر، 44، شارع سوتير، أمام كلية حقوق الإسكندرية

الدور الثالث، الإسكندرية، مصر

موبايل: 01018081590 هاتف: 034830903

بريد إلكتروني: levantegsy@gmail.com

موقع إلكتروني: www.levantcenter.net

رقم الإيداع: 2019 / 15979 م

الترقيم الدولي: 2 - 69 - 6651 - 977 - 978

تصميم الغلاف: مصطفى أشرف

التنسيق والإخراج: القسم الفني في مركز ليفانت

بإستيل
مجموعة قصصية

رانيا ثروت

مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر

الإسكندرية 2019 م



إهداء أول

إلى صاحبة الفضل الأول.. من علمتني الكلمة الأولى.. من أعطت الكثير ولم تنتظر مقابلًا أبدًا... إلى أمي.
إلى الرجل الذي علمني كيف يكون للأنثى عزم الرجال، إلى صديقي وسندي الأول... إلى أبي.

إلى من منحني الحرية والثقة، إلى من وقف بكل قوة داعمًا أحلامي بمنتهى الإخلاص.. إلى زوجي «دكتور مهندس/أشرف مصطفى حسن.. إلى مصطفى وفرحتي زهور القلب والأمل والصدق، التي نبتت في زمن الجذب والجفاف والكذب... أولادي.

إلى عمي الحبيب يوسف ما زلت حيًّا في القلب.
إلى أخي وصديقي الأديب والكاتب المسرحي الأستاذ/ أحمد قاصد لإيمانه بي وتشجيعه المستمر لي.
إلى أمي الغالية الفنانة والكاتبة العبقرية الأستاذة/ سهير شكري... شكرًا لإيمانك بي وحبك الصافي لي.
إلى أساتذتي: الأستاذ/منير عتيبة، والأستاذ/محمد عبد

الوارث... شكرًا لكم على دعمكم وثقتكم ونصائحكم وأشياء كثيرة.

إلى كل إخوتي في الله وأصدقائي مع محبّتي واحترامي.

إهداء ثان

إلى الأرواح المعذبة والمقيّدة، والذين تهدّمت جُدرهم
إلى كلِّ من فقد حلمه
إلى مَنْ قهرهم الخذلان والفقْد
إلى مَنْ بكوا سرّاً وضحكوا جهراً
إلى من تمنّوا غداً أفضل... ورحلوا دون رؤيته
إليكم أهدي بعضاً مني





... 



صلاة الإخلاص

جرت مسرعة؛ لتوقظ من في المحراب، النَّسَّاءُ نائمون..
إنَّها كارثة!

هَيَّا.. قوموا لنصلي هذا موعد صلاة الإخلاص، هَيَّا
لا تتكاسلوا هكذا...

يتثاءبون ويتعللون، بأنَّ وقت الصلاة لم يحنَّ بعد.

لكنَّها تصرّ... فيتحرك بعضهم بتثاقل وبطء ويستمر
البقية في النوم غافلين.

فما كان منها إلاَّ أن دفعت المتباطئين للخارج
بكلِّ ما أوتيت من قوَّة.

يتصايحون: «هل جننت؟ أنصلي خارج المحراب؟ هذا
لا يجوز.

تردّ عليهم: «لا لم أجنَّ بعد، بل أنتم من نسيتم أن

المحراب الذي ينام فيه النساك يصبح مدنساً، لا يصلح مكاناً للصلاة».

خرجت ، وخرج قليل منهم معها؛ ليقيموا الصلاة خارج المحراب.. إلى أن يتمّ تطهيره، وما إن خرجوا؛ حتى اندلعت النار في المحراب، تآكل النائمين والمحراب المدنّس.

كفر الكنبية

منذ طفولتي وحتى صرت صبيًا والناس في قريتنا يشبهون بعضهم بعضًا، قريتنا قريبة غريبة.. أهلها يحتفظون في كل بيت من بيوتها بكنبة قديمة؛ يتوارثونها جيلاً بعد جيل، يحرصون عليها أشد الحرص، حتى إن اسم قريتنا اشتق منها، يقبع أمام الكنبية تلفاز، يظلون جالسين عليها يشاهدونه طوال الليل وبعض النهار تبعًا للمواعيد المقدسة، يتابعون القناة الوحيدة صاحبة البرنامج الواحد، الذي يقدمه مذيع واحد يغيّر أقنعة عديدة طوال مدة عرض البرنامج في التلفاز، ينظرون إليها كالمثومين مغناطيسيًا، يأكلون ويزدادون وزنًا تتراكم الشحوم على وجوههم وأدمغتهم بشكل غريب، وهم لا يشعرون ولا يمتعضون ولا يزعجهم الأمر حتى.. يمارسون طقوس حياتهم اليومية سريعًا؛ حتى يتسنى لهم اللحاق بالمواعيد المقدسة لجلوسهم عليها، يخشون أن يتأخروا حتى لا توقع عليهم غرامة تأخير، يحتسبها جهاز موجود في ظهر الكنبية، نبدأ نحن الأطفال والصبية في الجلوس عليها حينما نبلغ العشرين عامًا، ولا يستطيع أحد الخروج على هذا القانون، وإلا كان العقاب والتنكيل هو الجزاء المؤكد، يؤمن أهالي الكفر أن الكنبية تحميهم، وتوفر لهم الراحة والأمان، كما أنها تجمع العائلة بصورة

مثالية، لم يفكر أحد في الخروج على القانون، ربّما خوفاً، وربّما عن إيمان حقيقيّ بأهميتها المقدّسة.. يجلسون فاغرين أفواههم، عيونهم جاحظة مفتوحة على آخرها لا ترمش ولا ترف بشكل غريب.

رأيت شعاعاً خفيّاً ينبعث من الشاشة إلى عيونهم مباشرة، ولكنّهم لا يرونه، لم يعجبني الأمر، ورفضت أن أقضي بقية عمري بهذا الشكل، حاولت كثيراً التسلّل خلسة لإيقاف جهاز الغرامة والاستشعار، لكنني لم أستطع، اتفقت وبعض أصدقائي على أن نخرب الجهاز، الذي يستعبدنا، ويستعبد أهلنا ولو بالقوة، نوظفهم من هذا الروتين القاتل والنظام القاسي، ونعالجهم من الشحوم، التي تراكمت على عقولهم وأجسادهم، لعلمهم يرون الحقيقة الغائبة عنهم، مثلما نراها نحن، وهنا قفز إلى ذهني تساؤل.. هل أدرك أهلنا ما أدركناه نحن وهم في نفس أعمارنا؟ وإذا أدركوه؛ فلماذا صمتوا كلّ هذه الأعوام؟! ومن المستفيد من الحالة التي عليها الكفر؟... عموماً ليس هذا وقت الأسئلة، لقد قرّنا وسنقوم بالتنفيذ الليلية.

انتظرنا حتّى جاء الوقت المعلوم ميعاد الجلوس على الكنبه للكبار، وبينما هم جالسون جاحظين فاغرين أفواههم، اجتمعنا خلف الكنبه، وأخذنا نهاجم الجهاز بمفكاتنا

ومطارقنا محاولين فك الجهاز أو كسره، وإذا بضوء أحمر يشوبه السواد يخرج من الجهاز، يزداد ويتشكّل في صورة سلويت لأشخاص ترتسم الجدية والقسوة على ملامحهم، أحاطوا بنا من كل جانب، وشكّلوا نجمة ابتلعنا جميعاً، ثم سحبنا بقوة شفط غريبة إلى داخل الجهاز، الجوّ خانق ومظلم ورائحة العرق والعطن تنبعث من كلّ صوب، تشكّل السلويت رجالاً غلاظ الملامح، يمسكون هراوات شائكة، قادونا إلى غرفة غريبة مملوءة بأنابيب أسطوانية تشبه «السوست»، سجنوا كل واحد منا في «سوستة»، مازال أهلنا جالسين فوقنا، مع كلّ حركة منهم نتألّم.. نصرخ.. وما من مجيب، منّا من أعلن توبته، وتوسّل للرجوع إلى حياته؛ مؤكّداً أنّ الكنبه هي الأمان، وأنّه استدرج وتابع للقطيع وغيرها من التوسّلات المخزية.

رضوا عن البعض وأعادوهم أشباه آدميين، أمّا أنا وزملائي الباقون وغيرنا كثر بعدد سوست الكنب؛ مازلنا نعاني، ونحن نزداد كرهاً يوماً بعد يوم للكنبه والمسئولين عنها وزبانية جهنم، الذين يذيقوننا العذاب، حتّى جاء يوم سمعنا فيه الحرّاس يهرولون ويصرخون يتحدثون عن طوفان اجتاح البيوت، وسوف يغرق الكفر، بعض الحرس أشفقوا علينا، فأخرجوا بعضنا؛ ليريحوا ما تبقى من ضمائرهم،

فأخذنا نخرج بعضنا من السوست، والماء يغمر أرضية الكنبة، وأهلنا لا يشعرون، هرولنا في كل مكان؛ لنجد المخرج، حتى وجدنا خرقاً قديماً في القماش، صنعه فأر جائع قتله الحراس، ومازالت رائحة جثته تفوح، خرجنا وبمجرد الخروج عدنا إلى أحجامنا الطبيعية، حاولنا إيقاظ أهلنا، ولكن بلا فائدة الدهون غطت عيونهم وآذانهم ومسخت ملامحهم، لم يعد أمامنا إلا النجاة بأنفسنا، فصعدنا إلى أعالي الأشجار، نطلب العصمة من الله، لم نر الأشجار بمثل هذا الجمال من قبل، وربما لم نرها أصلاً.. فاض الطوفان، هدم البيوت، وطاف الكنب متجهًا إلى المصرف؛ حتى سدّه، وتراكمت جبال المياه فوقه؛ حتى أهلكته إلى غير رجعة، وبعد سبعة أيام، ابتلعت الأرض الماء وجفت بعض المناطق، فنزلنا من أعالي الشجر، متخذين قرارًا في البدء في بناء كفرنا الجديد، واتفقنا على أن نسميه «كفر أبو سوستة».

بِاسْتِئْذَانِ

بعض أشياء مبعثرة، أوراق وأقلام وسماعة أذن، انقطع عنها الصوت، فتوسدّت الطاولة صامتة كالموت، وأسئلة مشعّثة تعبت بعقلي الأجوف، البعض يأكل الشكولاتة، والبعض تأكله الشكولاتة فأيهما أنت؟ لم تعدّ هناك حقيقة مؤكّدة، فهل المؤكّد ما نراه، أو ما يحدث فعلاً؟

الباب الذي تحرك منذ قليل تحرك فعلاً.. ليست تخيّلات.. هي حقائق نتجاهلها دون وعي منّا، لكي نستطيع أن نحيا. ويل لأصحاب العقول الرحبة من أصحاب العقول الضيقة، أصحاب العقول الرحبة تتسع غرف عقولهم للتصنيف والتخصّص، وتكدّس المعلومات والأحداث، وأصحاب العقول الضيقة عقولهم لا تحتوي إلا على غرفة واحدة، تتبني نظرة واحدة، المسافة بين هذين الفريقين تقدر بآلاف السنوات الضوئية.

هكذا أخبرتهم ولكنهم لم ينصتوا لي، في بقعة الضوء تنكشف الأعياب الحوارة كلّها، الحوارة فقراء من أيام موسى وحتى الآن، لذا ضلوا مع فرعون ولذا أيضاً آمنوا مع موسى.

كنت أحد الحوارة هذا ما أتذكره، يقولون عني: مجنون تاه عقله وضلّ، وهم يرفلون في الضلال دون أمل في التغيير أو

الهروب، فكّرت أن أهرب وأبصق أفكاري في وجه العالم، لعلّه يستفيق، أتذكر أنّني فعلت ذلك مرة، هربت من مكان اسمه كاسم حشرة سامة يذكرني بكلمة «باستيل»، وبعدها رأيت ما يعجز عن وصفه فكري ولساني، كنت إنسانا ثم حيوانا ثم تحوّلت لحشرة تركلها الأقدام وتقوقعت في شرنقة نسجتها من جلدي وعظامي، متّ ثمّ بعثت فراشة تكشفت أمامها الحجب، وعندما أخبرتهم بالحقائق أحضروني إلى هنا.

صرير باب... ممرض ضخم الجثة يقول بصوت غليظ:
«قدامي ميعاد الجلسة».

دون أن يدري

في غرفة مظلمة أقف وحيداً أبحث عن اتجاه صائب للخروج، أتذكر علب الطلاء الفسفوري، التي وضعتها يوماً بجوار الحائط، أغمس فرشاة كنت قد اشتريتها من عهد سابق، لا يختلف كثيراً عن العهد الحالي، أمزق ظلمة الحائط. أزرع فيها الألوان؛ لتضيء لي قبساً، أسترشد به، تغطاظ الظلمة، تأمر الحائط بتقيؤ الألوان؛ لتسيل عليّ الأرض مكونة بقعاً سريالية، أضحك ويزيد عنادي ساكباً علب طلائني في وجه الحائط، يسقط الحائط كل الألوان إلا اللون الأحمر، يخنقني اللون الأحمر بوهج حرارته الجحيمية، أخمشه في وجهه، فتتكسر أظافري وتسيل دموعي، تتساقط تختلط مع اللوحة مكونة كلمة تشبه حربة يهتز الرسم، ولا يهتز منطق الكلمة في روحي فأحدق في الحائط، وأدقّ عليه دون كلل يقاومني، فأصرخ ويزيد طريقي، والأمل يتضاءل في نفسي يتشقق الحائط. لكن يظلّ صامداً بظلمته الكالحة، يزيد طريقي وتنطفئ عزيمتي رويداً رويداً حتى أسقط خائر الأمل ممزق الأحلام أغيب عن الوعي، فقد سقط على رأسي حجر.



مجرد

لم يزعجه أنه استيقظ من النوم، فلم يدر من أين أتى؟
وأين هو الآن؟

لم يشغل باله الألم، الذي يمزق أسفل رأسه، وهذا السائل
اللزج الدافئ، الذي يبّل الوسادة، وتلك الرائحة المعدنية
زاكمة أنفه.

ما حيّره فعلاً؛ ذلك القابع في ركن الغرفة المظلمة، والذي
لم يكن موجوداً من قبل.

هل هو موجود فعلاً؟ أم أنه خيال صور له عقله؟ تمالك
نفسه وسيطرت عليه رباطة جأشه وحاول النهوض،
لاستكشاف ما يحدث، عندما هم بالاتجاه ناحية الظل
القابع في ركن الغرفة وجده.. باب.

الباب فُتح... ولج في فرجته، وكأنه انتقل إلى عالم آخر... إلى
بعد آخر.

أنفاس زرقاء وجدران صدئة وأردية متربة، عيون غائرة
زائغة تبحث عن مخرج، عن شعاع ضوء هارب يقاسمه
الوحدة والخواء وغموض المصير، يتهادى الدخان المنبعث
من رماد خلّفته نيران الموقد، وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة،

يتشكل الدخان في دوائر وأشكال عبثية خالقا وهمًا ممتنع التأويل، صانعًا جدارًا زائفًا يحجب ثغرة هروب أخيرة، تلهث الأنفاس حدّ الاختناق، تتصدّع القلوب منذرة بلحظة الانهيار، لحظات.. شهقة بيضاء.. دمة حلوة المذاق.. ثياب بيض.. وباب آخر أكثر اتساعًا يفتح ذراعيه لعبور يذوب فيه سلويت ضبابي؛ ليفنى وكأنه لم يكن يومًا. في اليوم التالي وجدوا على سريريه رسالة مكتوبة على ورقة بردي:

«الموت يدق... لا تفكر مرتين... اقفز في اليم ولا تنتظر.. ذراع الفرعون سكين... ودموع الفرعون سموم... والأم المغلوبة تلعن في صمت... لن ينقذك الصمت... اقفز في اليم لعلك يوما... تعثر على حل أحاجيك في بطن سمكة انفلتت منقبضة من شباك الفرعون.

من العالم الآخر.. إليك

حذار أن تقرأني... حتى لا أريك قتيلاً!

اذهب إلى حيث الأوراق الصفراء وأحرقها... إياك أن تتردد. اختفت الوجوه من الصور كلّها، ولم يتبق غير الأشباح تؤنس الكادرات الخالية، العيون ترقب.. وأذنا الأرنب ما شبعت من الاستماع إلى أغاني الغرباء.

الغرباء... ليسوا طيبين ولكنّ الأرنب كان يعلم، ومع ذلك
لم يختبئ.. لأنه علم أنّها النهاية... وعند النهاية تتساوى
كل الأشياء..
صمت... صوت طلقات مدوية... صمت.



منتظرون

ظهر القمر الأحمر! !

إذن اقتربت الحرب... وستتحقق النبوءة...

«ستموت، وتبعث من رماد الموت».

لم يكن الحكيم يعي، وهو يصيح بخوف ما يتم تدبيره في أروقة قصر «سلطنة قهرون»، حيث اجتمع كبير القادة بقاتته معلماً إياهم بأن «الساحليون الأحرار» قرروا الزحف على المدينة، وأنهم يجب أن يقوموا باحتياطاتهم لمجابهة تلك الهجمة، والتي سيكون هدفها ليس أمن القصر فحسب، بل سرقة دمعة «زافين الأول» الدمعة السحرية التي تحجرت، وأصبحت كريستالة بلورية، وقد أشاع البعض أنها سقطت من القمر الأحمر في ليلة عاصفة تظهر لكل من يملكها ما يبحث عنه، ويريد معرفته في الحاضر والماضي والمستقبل.

انزعج القادة وقرروا التكاتف لمواجهة تلك الحرب الشرسة للحفاظ على مملكتهم الغالية مدعّمين لنظام الملك «أعوج الأول».

في قرى الساحليين كانت التحضيرات للحرب على أشدها، في انتظار لحظة النصر على الملك القاتل، الذي ذبح أبناءهم

من دون رحمة؛ لعدم قدرتهم علي دفع الضرائب المجحفة، الغلّ كاد يفتك بصدورهم، كانت ليلة الوداع لا توصف، ضحك وطرب وطعم؛ فربما تكون هذه الليلة الأخيرة، ودّعوا أحبابهم، وانطلقوا متلهفين لملاقاة الجنود عند أسوار المدينة. التحمت الجيوش، ثار الكثير من الغبار، وشربت الأرض الدماء؛ حتّى ارتوت، وكانت الغلبة للساحليين؛ الذين اقتحموا القصر متدافعين في شهوة بحث محموم عن دمعة زافين، وحينما وجدوها في مخدع الملك اقتتلوا على من يملكها؛ حتّى هلك من هلك.. وحصل عليها «منتظر» وأمر بوقف القتال مهدّداً كلّ من يقترب بعصبتة، التي معه والذين بايعوه ملكاً، فرضخ الجميع، وأعلن «منتظر» ملكاً على السلطنة، وكان أوّل مرسوم ملكي تغيير أسم السلطنة إلى «سلطنة منتظرون».

أقيمت الأفراح، وجلب الساحليون أهلهم إلى السلطنة، وجلس «منتظر» على العرش ممسكاً بدمعة زافين وسط قاداته. نظر إليها مليّاً، ثم سألها:

«هل سيدوم ملكي؟ وإلى متى؟ هل سيكون لي وريث؟ من من قادتي الأكثر وفاءً؟ وسألها وسألها...»

توهّجت الكريستالة، وانبعث منها ضوء أبيض تحوّل للأحمر الدمويّ، وارتفعت درجة حرارتها، وانفجرت مبعثرة شظاياها

المسمومة في أجسام كلّ من في القاعة بدويّ مهيب، فقتلتهم جميعاً.

اتشحت القاعة باللون الأحمر وأشلاء الجثث المتناثرة، ثمّ تجمعت شظايا دمعة زافين؛ لتعود أكبر وأكثر بريقاً؛ ممّا كانت وكأنما لم يمسه تلف، راقدةً على كرسيّ العرش تنتظر... عاكسة صورة متكسرة للقمر الأحمر المطلّ من نافذة القاعة، وكأنما عليه خيال ابتسامة.



وطن آخر

تقول الأسطورة:

« في زمان غير الزمان، ولد الواقع والحلم كوطن للإنسان »
 اختلفا، لم يتفقا على المشاركة ولم يعجبهما التكامل، ظلَّ
 كلاهما يحارب الآخر، وكأنَّما موت أحدهما يعني حياة
 الآخر، كلاهما تأمر على الإنسان وهذا هو الشيء الوحيد؛
 الذي اتَّفقا عليه.

انفصلا وسلب وطن الحلم لبَّ الإنسان، وأخذ يمينه بعالم
 ملؤه الحب والخير والجمال، عالم يحقق للإنسان أبسط
 حقوقه في السكن والعلاج والتعليم والتطور وكشف خبايا
 الكون والتحكيم فيها، زهل الانسان، وحلَّق عقله وقلبه مع
 وطن الحلم.

لكن لم يعجب هذا وطن الواقع، فكشَّر عن أنيابه ممسكًا
 بقدمي الإنسان مانعًا إيَّاه من التحليق بالحلم، أنشب أظافره
 المعدنية الباردة في لحم الإنسان الحي، مثبتًا إيَّاه في الأرض،
 صارخًا في وجهه:

«يجب عليك أن تواجه مصيرك المحتوم، أن تسجد للمال
 والمادة، أن تركز للفساد والحيل لتواجه ضعف قدراتك

ومحدودية مواردك، الحب سخف والخير بله والجمال ليس له قيمة مادية ولا وقت لديك لتذوقه... مكانك معي، لا تغتر بالطيران والتحليق فما دمت غير راض عن ذلك فمصيرك السقوط لا محالة».

بكى الإنسان من ألم التمزق، ونعى حظّه البائس، وأخذ يفكر كيف يوفق بين الوطنين؛ ليحمي نفسه من التمزق والفناء، وليعرف أين هو وطنه الحقيقي الذي يحتويه لا الذي يفرض عليه أطروحات متناقضة وشاذة.

حاول الهرب.. فصدّه العجز، الذي سدّ منافذ الأمل كلّها، ولم يتبق له سوى الاستسلام ومشاهدة النزاع الدائر على أنقاضه وعظامه في حيرة.. ينتظر فوز أحدهم لينهي مأساته.

شكوك مؤكدة

العام 3090

العالم تغيير؛ لم يعد كما نعرفه، نحن - الآن - مطاردون نتخذ من الجبال بيوتًا، نجاور الأفاعي والعقارب، تذهب مجموعة منا كل فترة خلسة إلى المدينة، لتحضر مستلزماتنا ومستلزمات الآخرين، تتغير المجموعة كل مرة؛ حتى لا يلاحظها حراس المدينة، فمن يوقعه حظّه السيء في يد الحراس أو أهل المدينة، لن نراه بعد ذلك، ولن نعلم عنه شيئاً، مثلما حدث مع عمي «سعد» وغيره من المطاردين، اليوم ستكون المرة الأولى لي في الذهاب مع المجموعة.. تختلج في نفسي مشاعر مضطربة وشكوك وأسئلة تنتظر العديد من الإجابات، ولدت بعد زمن الطرد الأول تربيته على يقين بوجود الخالق الأعظم، وعلى حكايات لرجال بعثوا برسالات مختلفة، وعلى وعد بيوم يحاسب فيه الجميع، وينعقد فيه الميزان، أخبروني أنّ أهل المدينة نسوا كل ذلك تمامًا، وتمردوا على خالقهم، وأنكروا الرسل والرسالات، واعتنقوا دينًا جديدًا اسمه الحرية المطلقة، ليس فيه أوامر أو نواهٍ، لا يوجد حساب أو ميزان، ينظّمون حياتهم بقوانين وضعيّة

تحرّم السرقة والاختصاب وذبح الحيوانات، فهم لا يأكلون اللحم.

تحتّ القوانين على النظافة والنظام واحترام قواعد المرور، أما ما دون ذلك فهو مسموح؛ إذ يفعلون كل ما يحلو لهم، بدأ الأمر بالاضطهاد وبعثنا بالتخلف والرجعيّة والحرب غير المعلنة؛ حتّى أصدر كبراء المدينة قانون الطرد الأول، الذي نصّ على خروجنا جميعاً «كل من يؤمن» خارج حدود المدينة، مع قطع العلاقات معنا تماماً، وتركنا لمصيرنا.

قصة توارثناها، ولكن لم ير أحد منا أنا وأصدقائي المدينة، ننتظر اليوم الذي نشب فيه؛ لندخلها خلصة مع أي مجموعة من مجموعات شراء المستلزمات؛ لتتاجر بما نصنعه في كهوفنا متظاهرين، بأننا منهم؛ هرباً من الحرّاس، وبالفعل ذهبت يوماً أنا من ضمن المجموعة، وعبرنا البوابات بهويّات مزوّرة، وكأنّنا عبرنا إلى زمن آخر وعالم آخر، الرجال يقفون على النواصي كلّها، يضحكون بأصوات عالية، يمزحون بأفطع الألفاظ والتشبيّهات، من دون أن يثور أحدهم لكرامته وعرضه.

هناك كائنات تشبه الرجال، ولكنهم يرتدون ملابس نسائية ويتحرّكون، ويتكلّمون بنعومة ودلال، لا يليق إلا بالنساء.

أما النساء فهن عاريات أو شبه عاريات، يتباهين بأجسادهن المشوكة ووجوههن البلاستيكية المتشابهة، يضحكن ضحكات رقيقة، تطرب لها أذان الشباب، وتهفو لصويحاتهم قلوبهم، شباب غريب يرتدي ملابس ممزقة بشعور مشعثة، وسلاسل عديدة تتدلى من رقابهم، يتشابهون في الشعث والتهلهل، وإن اختلفت أشكالهم، علمت - الآن - لماذا ارتدينا ملابسنا القديمة الممزقة؛ لنذوب في وسط هذا المجتمع.

توجهنا لصديقنا التاجر المتستر في الظاهر بمظاهر الحياة المدنية، والذي يمد لنا يد العون هو وأجداده من قبله، والذين لولاهم لما حيينا حتى هذه اللحظة.

تناقض مظاهر الحياة كان سمة أساسية للمدينة، فهناك الأغنياء شديدي الغنى، وهناك الفقراء مدقعو الفقر، إلا أن الجميع اتفق على التهتك والفجور المعلن فلم يعد هناك حاجة لستره فالمدينة تسمح به بصفته وصية من وصايا الدين الجديد، فما دام الجميع يوافق، وكل شيء معلن، فلا مانع.

المدينة براقعة شديدة الجمال نظيفة ومنظمة، فيما عدا مشهد مخل هنا أو هناك أو في هذه الناحية أو تلك، حتى ملصقات الأفلام أسماؤها فاضحة وصورها تضرب الحياء في مقتل...

حياء أي حياء؟

أخبرني جدِّي أنّ أوّل البلاء كان نزع الحياء، ومن ثم توالى الابتلاءات، ولم ينتبه أحدٌ لذلك، ومن انتبه؛ هاجمه أهل المدينة متهمين إياه بالكذب والرجعية والتخلف.

المهم اشترينا كلّ ما يلزمنا، ولكنني تأخرت عن المجموعة لرغبتني في استكشاف المدينة، حذّرتني قائد المجموعة، ولكنني تمسكت برغبتني فتركوني ورحلوا، أسئلة عديدة تعصف بذهني تبحث عن إجابات.

هل سيظل الحال كما هو؟ أوجد من أهل المدينة كم هم مثلنا، ولكنهم يخشون عواقب انكشافهم؟ هل لهذا العيب أي نهاية؟ هل - هناك - ثمة أمل في التغيير؟

نجم الشمال

أن تؤمن... يعني أن تلعب دور يوسف بك وهبي في مسرحية «كرسي الاعتراف» وتتعلم كيف تكون مقتولاً.. مظلوماً، يكبلك نبل رجل دين حقيقي، يثق بالرب أكثر من ثقته في قدرته على الصراخ ألماً أو البطش انتقاماً!

هكذا كان يحدث نفسه، وهو ذاهباً إلى رحلة أوهموه بها للبحث عن نجم الشمال الأسطوري، كان يطمع أن يقتنص نجم الشمال، ويعود به لهم، فيشير ضوءه، ويسطع فاردًا شعاعاً، يشير إلى الحقيقة؛ التي يتجاهلونها عمداً. كان ساذجاً، هكذا اعتقدوا، وكان مؤمناً، هكذا اعتقد.

تابع رحلته تاركاً لهم كل ما يطمعون فيه من أموال وحقوق إدارية معتقداً أنه وضع مؤقت، سينتهي فور عودته بنجم الشمال الكاشف للحقيقة.

غاب سنين عدة، ضل طريقه، سقط وقام، عجز عن التقدم وفكر في العودة الخائبة، فهو يذكر طريق العودة جيداً. واصل طريق العودة وعلى مشارف أرضه أيقن أن الحقيقة هنا وليست في أي مكان آخر، هو من تركها ورحل، فغابت واستوطن في أرضه الطامعون والمنافقون.

كان إيمانه ناقصًا، لأنّه لم يؤمن بذاته وبقدرته على كشف الحقيقة والدفاع عنها، كان إيمانه ناقصًا، لأنّه لم يدرك الشعاع النافذ من عينيه، والمنعكس على عيونهم المكسورة؛ التي أصيبت بالعمى حال رؤيته.

عيون ملؤها الرماد

ضحكاتُ مرحة، رياح لا تنذر بخير، فرقة تتبعها نار عظيمة، أحرقت الزهور؛ فاستحالت رمادًا في الحال، خرج منها عربة حربية ذهبية، بريقها يعمي الأبصار تجري بخيول غير مرئية مسرعة، تسابق الرياح، صوت صرخات، رماد مبعثر حجب الرؤية، صرخة مدوية شقت حلق ديمتر

«حادس خطونه بيرسيفوني»

.....

لم تخطئ عندما اتشحت بأوراق الزهور، مغرّدة بأروع الألحان، تنادي الربيع، تتساقط دموعها الغالية على الورود المنزوية، فتحييها.. تغني وتضحك ضحكات بريئة صافية،

فتتحول إلى

فراشات زاهية الألوان.

لم تخطئ حينما رقصت رقصة الربيع الصاخبة المليئة بجنون وشغف الحياة، فهي لم تكن تعلم أنها ترقص رقصة الوداع.

أحبّ حادس بيرسيفوني على طريقته، أحبّها طمعًا، فيما تملكه من جمال حرم منه، وحقد عليها وعلى مرحها وعلى محبة الناس لها، فكان هذا الحقد وقود نار رغبته

في تملكها وهزيمة البراءة فيها، لم يكن يعلم أن الحرية هي روحها؛ التي عشقها وحسدها عليها، كبلها وخطف آخر لحظات البراءة منها ومضى...

خسر حادس نفسه وحقيقته؛ عندما انقلب السحر على الساحر، وتدله في حب بيرسيفوني فعلاً، ولم يعد يستطع الاحتفاظ بهيبته كرمز للقسوة والبطش، فالقسوة والبطش والحب لا يجتمعون في قلب واحد، لاسيما لو كان قلب حادس الأسود.

خسر حادس بيرسيفوني، التي أحبها، أصبحت هيكلاً خاوياً متأكلاً، تصفر فيه الأحزان، ماتت ضحكاتهما البريئة، وصارت دموعها سماً يقتل الأزهار، هجرت الغناء للصمت القاتل، هاجرت إلى عالم الأوهام المقبض.

عاقر حادس الخمر وباشر ملذاته غارقاً فيها مع «الكارينات»، ربات الحسن» لعلهن ينسينه بيرسيفوني، مقتولاً بين عذاباته وهيبته الضائعة في الأوليمب ومشكلاته مع زيوس وديمتر أم بيرسيفوني.

.....

الأوهام تتشكل في رأس بيرسيفوني عناكب تغزل خيوطها وحيات تتلوي، تفتح بداخلها قائلة: «براءتك وضعفك هما السبب في طمع حادس فيك، وسرقتك لك، ألوانك الزاهية

كانت نوراً يزيّن عالمه المظلم، لو أنك بالقوّة والمكر الكافيين ما فكّر في خطفك وحرمان روحك من مكانها الحقيقي ومن أمك الحبيبة ديميترا، قرري الآن.. وليس بعد.. فلم يعد هناك وقت يكفي ما مضي»

في هذه الليلة عاد حادس إلى الجحيم ثملاً مترنحاً يشتهي نوماً، لا يجيء حرم من لذته بسماع صراخ المعذبين على يديه، لم تعد أصواتهم تطربه، لم يعد لحبه وطعمه وحقده معنى، بيرسيفوني أصبحت جزءاً من عالمه الأسود لا تختلف عنه في شيء، انطفأ بريقها وأصبحت بالية الروح، ألقى بجسده على سريره الوثير يهذي.

في هذه الليلة سمعت صرخاتٍ، هزت عروش الأوليمب نابعة من أعماق الجحيم، جعلت زيوس يتساءل، ويرسله هيرميس لاستطلاع الخبر.

قابله حادس، وهو مستعيد لقوته وهيبته، بل إن ملامح أكثر قسوة ارتسمت على وجهه، ولما سأله هيرميس قال له: «لقد فقدت هيبتي، وضعفت ضعفاً لا يليق بي، فاتخذت قراراً، وقتلت بيرسيفوني موطن ضعفي وزلتي الوحيدة، وألقيتها في الأسد المذيب، وأرغمت المؤرّخين على كتابة تاريخ جديد يقول بعودة بيرسيفونيه لديمتر، على أن تعود لمملكة الموتى مرة أخرى بالتناوب، وأرغمت ديمتر على الصمت، وإلا

أذقتها أشد العذاب وأفزع طرق التعذيب، فرضت لي،
ووعدتني بأنها ستعيد الزرع والورود في الفترة؛ التي من
المفترض فيها عودة بيرسيفوني»

نظر هيرميس لوجه حادس يستشعر غرابة في لهجته، ولكنه
كان يعلم جنون حادس وتقلباته، فلم يعر الأمر أهمية،
وعاد مسرعاً ليبلغ زيوس.

جلس حادس على عرشه، وهو يتناول بعض حبات الرمان
من جيبه، وينظر إليها في كفه، ويبتسم.

بعد قليل دخل الميناتور، يبلغ حادس برغبة الساحرات
الثلاث ذوات العين الواحدة في مقابلته، وهن يقلن للحراس،
أنهن راغبات

في قبض ثمن أمر ما من حادس العظيم.



...م...



فطيمة

تربط عقدة منديل رأسها المبرقش بعزيمة وإصرار،
ناظرة للمرأة في تحدّ.

فطيمة، اسمها الذي طالما شعرت نحوه بسخرية لا
تقلّ عن مفارقة كونه اسمًا شائعًا في أوساط، لا تمتّ
لها بأيّ صلة إلاّ خدمتها، تتّجه صوب أمّها العجوز
حاملة ملابس نظيفة استعدادًا للحمام اليوميّ، الذي
تعطيها إيّاه قبل أن تحضر لها إفطارًا «ملوكيًّا» مكوّنًا
من بيضة وكوب لبن وربع رغيف من الجبن الأبيض
تطعمها إيّاه، وتقبّل يديها، ثمّ تأخذ أبناءها، الذين
أيقظتهم معها؛ استعدادًا للذهاب إلى مدرستهم، وترحل
مغلقة الباب المتهالك ذا الطبلة الخربة والترباس الصدئ
وراءها.

كم أخبرت حسين زوجها بأن يصلحه، ولكنّه لا
يفعل متعللاً بضيق ذات اليد صارخًا في وجهها:
«إن شاء الله عنه ما اتصلح، مغيث فلوس، أجيب
لكم منين وبعدين هي المخروبة دي فيها إيه يتخاف
عليه».

تنظر له بأسى ولا تردّ.

ليس هذا حسين الذي تزوّجته، وهي مازالت ابنة الثمانية عشر عامًا، الشاب البريء الطيب الذي لا تفارق عيناه الأرض.. ماذا حدث له؟! تغير كثيرًا منذ أهلكته الأعمال الثلاثة، التي يعمل فيها، حتى يكفي احتياجات بيته، فهو نادل صباحًا وعامل (جراج) عصرًا ويوصل طلبات على دراجة نارية مساءً، وعلى الرغم من ذلك لا يستطيع أن يؤمّن طلبات البيت، نتيجة غلاء الأسعار؛ التي تزداد كل يوم.

أكل شبابه الإرهاق والتعب، وامتصّت رحيق عمره الهموم والمسئوليات التي أعيت متنه واكلته.. وهنا، لم تستطع فطيمة الوقوف ساكنة، فقرّرت أن تعمل في خدمة البيوت؛ لاسيما أصحاب المنازل الخاصة الكبيرة، التي يثير اسمها تعجبهم وسخريتهم أحيانًا، تنظف المنزل، تحضر الطعام، وتعيد ربط منديلها، الذي تهدل وتعقده بعزم المحاربين المُقدِّمين على المعارك، لتمسك بالمسحة والدلو، وتقوم بتنظيف أرضيات المنزل محنية الرأس مكسورة الظهر، تتحاشى نظرات «البهوات» لجسدها الهزيل، الذي التصقت عليه ملابسها.. جسدها الذي ينهشونه رغبة في تذوقه؛ فبال تأكيد له طعم آخر يخالف مذاق الأجساد الرياضيّة المشوقة

ذات الوجوه البلاستيكية المزيّنة بالعجرفة والتعالي
«للهوانم» اللواتي لا يرضين غرورهم الذكوري.. انحناءة
جسدها والنظرة المنكسرة هي ما تشعل فيهم كبرياء
الرجولة، فتتحاشاهم، وتنهى عملها مسرعة؛ لتلحق
بميعاد خروج الأولاد من المدرسة.

تعليم الأولاد كان هدفها وأمنيتها، التي تطمح إلى
تحقيقها، وهي حريصة عليها حرصها على الحياة
نفسها؛ مهما تكبّدت من معاناة ومشقة، تعود للمنزل
تركل الباب بخفة، فينفتح لتجد أمها، وهي تنظر
إليها في أسى، فتداعبها قائلة:

«وحشتني يا أمي.. بس أنت احلويتني قوي عن
ما سبتك لا ده أنا حا خبيكي من العرسان».

فتضحك الأم، وتذهب فطيمة؛ لتحضر الغداء،
وتقوم بأعمال المنزل، وتذاكر للأبناء دروسهم على قدر
ما تعلمته بشهادتها المتوسطة، ليأتي حسين في المساء،
تحضر العشاء، ويجلسون جميعاً في صمت؛ ليقوموا إلى
النوم استعداداً ليوم آخر من الشقاء.

يوماً ما، استيقظت فطيمة كالعادة، ونظرت للمرآة
عاقدة منديلها بنفس القوة؛ لتبدأ يوماً لا يختلف عن
غيره من الأيام الأخرى، لتعود هي والأولاد لتجد الباب

مهشماً تماماً، تهرول إلى الداخل باحثة عن أمها وهي
تنادي عليها:

«يا مَّه ... يا مَّه ... أنت فين؟! إيه اللي
حصل؟!»

لتجد نفسها تقف أمام مشهد بشع؛ لجثة الأم
المذبوحة والدماء تلطخ كل ما حولها، تجلس فطيمة
القرفصاء، وتحتضن أمها، وتبكي، وتصرخ، ثم تصمت
وتنظر لها وتقول:

«حتوحشيني يامَّه.. بس تعرفي أنت احلويتني قوي
بس يا خسارة معرفتش أخبيكي يا مَّه لا أنا ولا حسين
قدرنا نصلح الباب»

يسقط منديل رأسها تغرقه الدماء تدريجياً؛ لتختفي
برقشته الزاهية.

مشجبه

دائمًا أحملق في صورة بائسة معلقة على الحائط
المقابل، لم أعد أتذكر من فيها.

هذه المرة هناك شيء غريب في الصورة، شعاع
غريب ينبعث منها.. يلتفّ حولي، تزداد خيوطه،
تشرنقني، تكاد عروقي تنفجر، وأنفاسي تختنق لاهثة،
تستجدي الهواء، ولكن.. هيهات.

تذكّرت - الآن - الصورة كانت له.. ذلك القابع في
حديقة منزلي، أتراه حقيقة أم محض خيال تحول
إلى حقيقة، أكاشف نفسي بأنني أهذي أو أحلم حلمًا
كابوسياً مزعجًا، وأقنع نفسي أنّ الاستيقاظ أصبح ضرورة
ومرفأً للنجاة، يجب عليّ بلوغه مهما كان الثمن،
حاولت أن أفيق، أن أستيقظ، وكلما ازدادت محاولاتي
البائسة، ازدادت الشرقة ضيقًا، وازداد صدري اختناقًا.
حتّى تدلّت لامعة، على الرغم من الضوء الخافت،
الذي يصفحها، حاولت الإمساك بها وإفلات يدي؛
لتصل إليها.. كانت مدلاة على شكل قلب يفتح له
حواف حادة، وبه صورة لم تعد مهمة، المهمّ - الآن -

أن أنقذ نفسي، فتحت القلب، هوت الصورة، كما هويت أنا على الشرنقة بالمدلاة، أقطع أشعتها وخيوطها، وهي تقاوم، وتزداد ضيقاً في محاولة أخيرة لمنعي من التملص. أخيراً تمكّنت من تمزيقها، وخرجت منها، وأنا أتنفس باضطراب عظيم وأنفاس متلاحقة؛ تكاد تقطع قلبي من فرط الإعياء.

لم تكتفِ بتمزيق الشرنقة؛ بل هجمت على الصورة، وأنا أصرخ، وذهبت إلى شباك يطلّ على حديقتي قائلة: «انتهى الأمر ستظل هناك مهما فعلت، ولن تتمكّن مني أبداً، مثلما فعلت ذات مرة في الماضي، كنت صغيرة ضعيفة مطمئنة إليك، لم أعلم أنّ الذئب يتخفّى في ثوب الحمل... الأب... أخذت ثأري منك مرة، والآن أتخلص من بقاياك نهائياً».

ألقت الصورة؛ بكلّ ما يعتمل فيها من قوة، أخذت تضحك فرحة بالنجاة، حتّى شهقت، وساد الصمت. في سرادق العزاء وقف شاب وسيم، يتلقى التعازي في والدته المسنّة، وهو يبكي، ويتذكّر كلمات، كانت تداعبه بها:

«تشبه كثيراً جدك... أبي... لكنك أكثر بياضاً منه».

كسور

كادت الحكمة تمزق ظهري؛ حينما استيقظت هذا الصباح.. توجّهت إلى الحمام، لأغسل وجهي، وفتحت الصنبور، وأخذت قليلاً من الماء، وحاولت مسح وجهي به، لكنني فشلت فالماء لا يصل إلى وجهي، تعجبت وحاولت مراراً، إلا أنني مع كل مرة أجد وجهي جافاً، وكأنما لم يمسه الماء.

الوقت تأخر، ويجب أن أذهب إلى العمل، سيؤنّبني رئيسي إذا تأخرت؛ خاصة أنني لم أنجز كل ما أوكله لي هو وزملائي من أعمال.

نعم فزملائي ينعنونني دائماً «بحمار الشغل» الذي يعمل دون شكوى أو اعتراض، خوفي من المشاكل هو ما يجعلني أقبل ذلك.

تربيت على هذا، فأنا لا أحبّ المشاكل، وقد أكون أخشاهم قليلاً، فأنا ضعيف البنية هزيل القوام، أهرب دائماً من كل شيء؛ يؤدي بي إلى الشجار مع أحدهم، ليس خوفاً على عمري؛ فأنا ليس لديّ ما أخاف منه وعليه أو من أخشاه، أعيش وحيداً بعد أن رحل أبي وأمي، وهاجر بعض إخوتي، بينما سافر الباقون لدول الخليج بحثاً عن الرزق.

الموت نصٌّ مبهم ملغز، يعجزنا تفسيره على الرغم من رؤيتنا له وتكرار حدوثه.

نصٌّ غير قابل للقياس أو النّقد، هكذا كان يقول والدي، فقد كان بارعًا في النقد الأدبي وله بعض محاولات قصصية وروائية، لم تكتمل، لأنّه كان مشغولًا بكتابة أعمال أدبيّة لبعض الكتاب الكبار، التي كان يتقاضى عنها مبالغ من المال تساعده مع راتبه الهزيل لإعالتنا.

لم أحكم عليه يومًا، فربّما كانت أسبابه مقنعة، وربّما كانت ظروفه أكثر إقناعًا، عمومًا.. لم يشغلني الأمر كثيرًا.

ما يشغلني حقًا أن أصل في الموعد، حتى لا أواجه بأي توبيخ أو تأنيب.

دائمًا كنت أذاكر دروسي جيدًا، وأقوم بعمل واجباتي كلّها، ليس حبًا في المذاكرة؛ ولكن خوفًا من التأنيب والعقاب، وكذلك كنت أقوم بأعمال المنزل، وأساعد أمي وأبي لنفس السبب؛ إذ كان إخوتي يخوفونني به وأنا صغير؛ ليتنصّلوا من مساعدتي في أعمال المنزل، ويتوعدونني بالضرب لو لم أفعل.

تزداد الحكمة في ظهري، وتزداد رغبتني في تقطيع لحمه، ما الذي أصابني؟ أمرض جلدي؟ من أين جاء؟ ما السبب فيه؟

أخشى الأمراض، المرض مؤلم، لذا أتجنب مخالطة المرضى وأتهرب من زيارتهم، الحمد لله أن أبي وأمي ماتا؛ من دون أن يمرضا، أو أي إشارة لاقتراب وفاتهما، بل سقطا ميتين من غير مقدمات.. لو لم يحدث ذلك ماذا كنت سأفعل حينئذٍ؟

أخيراً وصلت، أتصّبب عرقاً كالمحمومين، سيوبخني رئيسي على ملابسي الغارقة بالعرق، وهو ما لا يناسب المظهر المثالي لموظفي الشركة.

وصلت إلى مكثبي، وجلست لأجد زملائي الأعزاء يتوافدون واضعين ملفاتهم على مكثبي للقيام بأعمالهم كالمعتاد.

دخل الرئيس متجهم الوجه كالعادة، ولكن لا يهمني، فقد وصلت في الموعد، نظر لي باحتقار شديد كالمعتاد، ثم صرخ في وجهي مؤنّباً على عدم إنهائي الأعمال، ولتأخيري مصالح العمل.. الحكّة ازدادت، وتصدع ظهري، وتكسّرت عظامي، وأصبحت أسبح في عريقي.. مايزال المدير يصرخ، ويؤنّب دونما اعتبار لحالتي المزرية، أشعر بقميصي، يتمزّق من الخلف وكأن.. وكأن... لا أصدّق وكأن شيئاً ينبت من ظهري.. ماذا يحدث لي، أود أن أصرخ، الألم فوق احتمالي، ولكنني أخشى من رئيسي، فأكتم الألم، جاكت البدلة يتمزّق بفعل ما ينبت من ظهري، أهى حدبة؟ أيمكن

توحيدية

كانت أقصى طموحاتها، أن تصعد بعد العصر إلى سطح المنزل يوميًا، مصطحبة معها صديقها الوفي الكرسي الخشبي الصغير؛ لتجلس عليه، وتشاهد المارّة، وهي تحتسي كوب الشاي بالنعناع، وتظلّ جالسة هكذا حتّى العشاء، ثم تنزل لتحتمي بين جدران بيتها الباردة من وحشة الأيام وقسوتها، التي تركتها بلا زوج أو أبناء.

البيت ذو الحجرة الواحدة، أثاثها سرير معدني ومنضدة عليها مفرش اصفرّت خصلاته، وتلفاز بلا ألوان يقبع في كوة في الحائط، مانفكّ يحدّق فيها مساء كلّ يوم، من دون ملل أو كلل بمنتهى الوقاحة، يريها الدنيا التي لم ولن تحصل عليها أبدًا.

لم تمتلك من حطام الدنيا إلّا حلّقًا وخاتمًا ذهبيًا وأخًا وحيدًا متزوجًا وله أبناء، يزورها كل شهر، يستعطفها ويقاسمها معاش أبيهما ويرحل... تاركًا لها الوحدة والخواء .

إلى أن جاء يوم امتنعت فيه عن الصعود إلى السطح،

وافتقدت ممارسة ترفيهها المعتاد، مرّ يومٌ ، ... ويوم آخر ... ويوم تلاه.

عندما تساءل الجيران عنها، وأخذوا يطرقون باب الوحدة، ما أجابهم إلا الصمت والبرود... ورائحة العفن.

وبعد الهرج والسياح والبكاء، حققت الشرطة، لتكتشف أن أباها لم يكتف بأخذه منها ما يقدر عليه من معاش الوالد.. بل أخذ روحها والحلق والخاتم الذهبي... وبقي انعكاس صورتها، وهي ملقاة على السرير المعدني متشبثة بالمفرش القديم الملقى على شاشة التلفاز .. الشاشة التي لن تضاء بعد ذلك أبداً.

فصام

رقص المهرج على الحبل الرفيع ، وهو يضحك ساخرًا، يقوم بحركاته البهلوانية في براعة فائقة، يقفز من بين حلقات النار، ينام على المسامير، وهو يضحك ضحكة عالية، والمشاهدون يصفقون ويشهدون على براعته.

يداعب فتاة صغيرة يهديها بالونات ملونة، تبتسم الطفلة؛ فيثقب بالونات وقبل أن يضع العبوس بصمته على الوجه الصغير؛ يخرج لها من أنقاض البالونات باقة زهور ملونة تطير منها فراشات، فتضحك مصفقه وتقبله على وجنته، يتحسس القبلة لحظات، وترتسم في عينيه كلمات، وهو ينظر للفراغ.. تتلاشى سريعًا؛ ليكمل العرض.

يضعونه في مدفع، وهو يهمل وتهل معه القاعة، يطلقونه ليحلق في الهواء، تلك أكثر لحظات العرض والعمر... سعادة.

كم تمنى لو ظل طائرًا محلّقًا بعيدًا عن الأرض، يتشبّه بالحلم الذي ينفلت منه، وهو يسقط بفعل الجاذبية؛ ليرتطم بالأرض، تتغير ملامح وجهه بشكل

لا يلاحظه أحد يقوم منتفضاً بسرعة، وهو يبتسم ابتسامة، يزيد من اتساعها المكياج، حائياً رأسه ليلقي التحية على الجمهور، الذي يصفق له بحماس شديد. انتهى العرض.

ذهب المهرج في تباطؤ شديد متحاملاً على نفسه إلى غرفته الفقيرة، يجلس على الكرسي، أخذ يزيل مساحيق التجميل والابتسامة الحمراء المبهجة، ليترك مجالاً للدموع؛ لتجري على وجنتيه، وهو يخلع ملابسه؛ التي أدمتها المسامير، واحترق من تحتها جلده وتكسرت عظامه؛ لينظر لنفسه في المرآة، ويبتسم ابتسامة ساخرة بطرف شفته، لا يكاد يراها من بين الدموع؛ التي تغطي عينيه.

ذلك الوجه الذي يراه في المرآة هو سرّ عذابه، ذلك الوجه المحترق هو السبب في هجر زوجته وخوف ابنته منه، ذلك الوجه الذي هزمه هزيمة لا يداويها تصفيق جمهور العالم.

مكرّر

طلب منّي أن نلتقي ، فوافقت وحددت مكاناً
 مزدحمًا للقاء ، سوف أرتدي أجمل ثيابي ،
 وأغرق نفسي بأغلى أنواع العطور ، وأغيرّ لون
 شعري للأحمر الناري ، وأتركه طليقا في الهواء ،
 سأتأخر عليه وأدعه ينتظر ، وحينما نتحدث
 سأمجد انتصاراته الهزيلة ، وأحدّثه بصفته بطلاً
 أثينياً يباري أخيل في الفتوة والشجاعة ، وأجعل
 منه ملكاً لملكة خرافية ، سأنظر في عينيه متدلة
 بغواية حتى تسكن كل جوارحه إليّ ، ولن أحبّه
 أبداً.

هو صورة مكررة لأشباهه المسوخ المملين ،
 نفس الغرور والعنجهية الكاذبة ومفاتيح التعشق
 في الذات التي نتقن مغازلتها ، فتنفتح على
 مصارعها أمامنا ، نفس الأنانية والقسوة والبخل
 والجحود ، نفس الاستهتار والعبث الملول ؛ الذي
 يستخدم الحبّ كطريق يحمل المغامرة والمتعة
 الآثمة ، باستكشاف الأرواح والعبث بالمشاعر وكسر
 القلوب ، ثم الرحيل إلى مغامرة أخرى دون ملل

استكمالاً لمراسم الذكورة المنطبعة في أعماق أعماق العقل الذكوريّ المتجرد من الرجولة؛ التي ولّى عهدها منذ زمن.

يبتسم، أبادله الابتسام وأنا أنظر لعينيه الشغوفتين ولمعة الانتصار تبرق من عينيه، يمرّ الوقت، وحين أكتفي أفاجئه بالرحيل متعلّلة بأشياء واهية، تتكرّر اللقاءات، ويزداد الانجذاب متحولاً إلى تعلق وعشق للفريسة المتمنعة الصعبة المنال، وحينما يتوهم أنّه اقترب من تحقيق هدفه، أنظر في عينيه جيداً وأنا أضحك ضحكة عالية، وأتركه راحلة بلا عودة وعلى وجهه نظرة حائرة، محدثة نفسي لم يكن الأول ولن يكون الأخير.

مكاوي السلكاوي

هكذا يلقبونه، صديق بائعي السوق كلهم.. رجل متوسط الطول بدين يحجل بقدمه، يعيش على التنطع على بائعي الخضار والفاكهة وبعض الجزارين و«الفرجية» الذين «يفوتون» له، كلما استطاعوا «جناح أو قنصة أو رقبة» تصلح لعمل شوربة فخمة يتعشى بها عشاء «مُكن» كما يحلو له أن يقول.

يقنع كل من في السوق أن له أسرة وأولادًا، يجري على معاشهم، ولا يكتفيهم كوسيلة مستترة للتسول، وفي الحقيقة يعود كل يوم إلى عشته الخشبية المجاورة للقطار؛ ليجدها باردة صامته خاوية، إلا من بعض الملابس المتهالكة وفرش قديم، اختفت ألوانه منذ زمن، وعود تمزقت أوتاره يستند على الحائط الخشبي المثقوب، يجلس قبالة صامتًا كل يوم، يلوك طعامه وعيونه زائغة. سرت أقاويل بين جيرانه عن أنه كان غنيًا في يوم من الأيام، ولكن استهتاره ضيّع أمواله، كما قال البعض: إنّه قتل زوجته بعد أن اكتشف خيانتها وسجن لفترة، وخرج ليحيا هذه الحياة المزرية.

يقولون ويقولون.. وهو مثله كمثل أي إنسان يحتفظ بماضيه لنفسه، فيصبح مادة دسمة لحكايا الفضوليين أصحاب الخيالات الواسعة المريضة، مكاوي كان عوادًا يعشق ألحان العود وصوته

العذب، كانوا يلقّبونه بصاحب اليد الماسية، كان عزفه لا يقل روعة عن عزف فريد الأطرش ومحمد عبد الوهاب، التحق بالعديد من الفرق الموسيقية الشهيرة، وعزف في أنحاء العالم كلّها، خبر الدنيا ولكنه لم يخبر الحبّ قط، حتّى رآها تصغره بعشرين عامًا، زهرة رطبة غضة، كانت من معجباته المجنونات بفن العزف على العود تطربهن أوتاره وتهتز مشاعرهن لعُربه ومقاماته، تعرف عليها في رحلة إلى برلين، أصبحت أصدقاء، وكانت تدلّله «بأونكل ميكي»، كان يبتسم ويترقب قلبه حينما تناديه بهذا الاسم.. دلالها يداعب شوقا خفيا لمذاق النساء وجذوة شباب توشك على الانطفاء، ولكنه يستحي أن يفكر فيها أو تمر على خاطره كأثناء المنشودة، مكتفياً بتحليقها حوله في أغلب حفلاته، كفراشة نور تلمع أجنحتها في وهج الشمس، وجهها كان شمسًا لا تغيب لا يخفت ضوءها، وبعد فترة غابت فلم تعد تحضر حفلاته أو تتصل به، فظنّ أنّه أغضبها في شيء، حاول الاتصال بها مرارًا لكن لا مجيب، لم يجد بدءًا من الذهاب لمنزل عائلتها والسؤال عنها، طرق الباب ليفتح له والدها بوجه كقطع الليل وخلفه صورتها يقبض على جانبها شريط أسود، لم يتحدث ولم يسمع، رحل في صمت وهو يهرول إلى بيته، وحينما وصل بحث عن العود ومزق أوتار.

حبر

في الحافلة يتلمس إصبعها معدلاً وضع الخاتم، يميل كل ما فيها ويضطرب للمسته البرق النافذة لأعماقها، مثل حياة زارت جسدها مرة، فتنسّمت خلاياها مذاق كلمة حياة.

ترتبك.. تنظر في عمق عيونه متسائلة عن سر اللمسة، فتجد نفسها لا تنتظر جواباً وإنما تنتظر مزيداً يحتوي كل أصابعها، كل كيانه، فإذا كانت اللمسة الواحدة حياة، فكيف باحتواء كامل يللم شتاتها، وينهي البرد القاسي، الذي يخترق أضلعها؟

لا تدري لماذا تذكرت لحظتها ذاك القلب المعدني البارد؛ الذي كان يدور على محور في إطار قلبي أيضاً، كان دلالة حلي، وأصبح لعبة في يدها، كانت تطير سعادة، وهي طفلة عندما تعبت به، وتجعله يدور حول محوره بسرعة، كان فضياً يتوسطه فصّ أحمر، لم يعجبها الفصّ الأحمر قط، نزعته مقررة استبداله بفصّ آخر كريستالي، يعكس ألوان الطيف، وبالفعل، وضعت الصمغ، وهمت بلصق الفص الجديد، إلا أن الصمغ غافلها وخرج عن موقع اللصق عند تثبيت الفص، حاولت مسحه أو معالجته، لكنه شوّه القلب بتعرجات شفافه، ولم يكتف بذلك، بل تعدّاه لتثبيت القلب مع الإطار، فلم يعد قابلاً للدوران حول محوره، ليبقى القلب ثابتاً بفص كريستالي ملطخ بالصمغ الشفاف مشوه الجنبات.. يحملق فيها مستفزاً وباعثاً للنكد لا للسعادة، التي كانت تحلم بها.

تركته وسط أشياءها القديمة ، ولم تعد تطالعه فلقد خذلها... »
 مازال يتحدث... كلماته رقراقة عذبة ضحكاته طفولية مرحة
 وعيونه بريئة كعابد زاهد، ومع ذلك يشوب نظرتها الكثير من
 المكر والمشغبة.

عيونه جميلة كفستانها... انفعالات الدفء التي لم تتعود
 عليها أنستها، القلم الذي تعبت به في يدها، وتضغط عليه ، حتى
 انفجر الحبر منه ملوثا فستانها الجميل ببقع سوداء، لم تستطع
 أن تحتوي الموقف أو أن تصلح الفستان، طلبت منه أن يساعدها في
 تنظيف الفستان، فوافق مبتسماً؛ وبينما هي تحاول إزالة الحبر
 لمحت لافتة على جانب الشباك مكتوب عليها «لا.. للتدخين»،
 ارتعبت عندما رأت حرف الـ"لا" ينزف حبراً هو الآخر وينهار
 متلاشياً.

ورود وأشواق

متكلفتين جوه الشيلان
م الغربة والشوق والحنين
صوت الرياح يصرخ أنين
والمطرة دمع متخزن
يبكي ينوح
على قلوب العاجزين
يشكي برد الليل الحزين
هجره القمر...
حتى نجومه مدخمين
صوت الآذان ينطق بحق الدفا
يا دنيا يا مجحفة
إمتي الصفا يغزل لنا
تلفيحات متكلفة
تكمّر قلوب الحيرانين

الهواء بارد يجمد الأوردة...

يأمر كونه حاكمًا مستبدًا في العباد، فيجعلهم يلزمون المنازل رغماً عنهم، خلت الشوارع إلا من بعض المارة، الذين يهرولون للعودة إلى منازلهم؛ حيث الدفء والراحة من عناء يوم طويل بارد.

أثار انتباهي شاب وفتاة يلهوان ويضحكان وتساءلت... ألا يشعران بالبرد؟

هذا الذي يرتدي قبعة وكوفيّة من الصوف الأسود وكنزة صوفية زرقاء اللون رفع أكمامها، فكشفت عن سواعد قوية نافرة العروق، عيناه واثقتان مكحلتان، أو ظنّنت ذلك «لا أدري»... يسير إلى جوارها.

الفتاة التي ترتدي القبعة والكوفيّة الوردية.. تلامس الكوفية وجنتيها، وهي تخشى أن تجرحهما من فرط رقتهما، تتناثر بعض الشعيرات البنية من القبعة، يداعبهم الهواء؛ فتتمايل معهم القلوب، لتضفي لمسة إضافية من الرقة على الوجه الملائكيّ.

توقّفا عن اللهو، فكان الصمت ثالثهما، على الرغم من أنني سمعت حوارًا طويلًا بين العيون السوداء المكحلة والعيون العسليّة الرائقة.

سارا متجاورين، ينظر كل منهما إلى الآخر، يتبادلان الابتسامات بين الحين والآخر، فتفتنه غمازاتها، وهو يرفع يده؛ ليبعد شعراتها الرقيقة، خشية أن تطرف عينيها، وهي تبتسم في خجل وحمرة تزيدها جمالاً وبهاءً.. وتزيده دفناً.

فركت يديها، ونفخت فيهما زفرة فاحت بعبير عطرها، وهي تنظر له طلباً للدفع، فنظر إليها، وأخذ يقرب يده من يدها في حذر، لم يجد ممانعة، فدثر يديها بحضن يديه الدافئ، واعتصرهما في جرأة وثقة. خيّل لي أنه إذا انفصلت أيديهما لانفصلت معها أرواحهما، كل منهما كان معلقاً بروح الآخر، برباط أقوى من الحبل السري، الذي يربط الأم بالجنين، ليهبه الأمن والحياة بقدره الله ورحمته.

كان البحر عالي جداً، أمواجه تلتهم بعضها في شراسة وجنون، مهددة باقتراب «النوء»، تتلبّد السماء بالغيوم مندرة بالمطر، والكل يهرول... إلّهما! كأنهما في عالم آخر، كانت النظرة كلمات، والابتسامة فراشات، والشمس أشرقت من العيون؛ التي صدقت على عهد اليدين بالتوحد، أو تراها الأرواح، التي توحدت هنا، العالم بأسره كان حاضراً، حدوده جسديهما المادية اللذين، ما عادا يشعران بأي برد.

نظرت إليهما طويلاً، وتخيّلت ما يدور بخلد كلّ منهما.

هي تتمنى لو أنها ترتمي على صدره؛ طلباً للمزيد من الدفء والحماية؛ لتستمع إلى دقات قلبه، وهو ينادي عليها، ويطلق على أبواب الروح، يناجيها، يتوسل إليها ألا تباعد، وتظل هكذا.. إلى آخر العمر. أما هو فبات يتمنى أن يقبل رأسها ويحيطها بذراعيه؛ ليحميها من كل ما حولها، يخبئها في صدره فتختفي بين ضلوعه متخذةً منها مأوى وسكن وستر، فلا يراها أحد بعد ذلك إلا هو.. هو فقط »

ضحكت من نفسي، ها أنا ذا أكتب لهما قصتهما على ذوقِي الخاص، حمداً لله على أنه ستر أفكار البشر، وجعلها حكراً عليهم فقط نعمة كبيرة حقاً.

نظرت، فوجدتها تنظر في ساعتها، وتضطرب وتخبره شيئاً وهمّت أن تترك يديه، فوجدت نظرة حزن قاتلة، أكاد أقسم أن عينيه لمعت بالدموع؛ وهو يمسك يديها في قوة؛ رافضاً أن تتركه، وترحل، اكتست قسمات وجهه بالجديّة وهو يحدثها، رأيت الضعف في عينيها وخيبة الأمل، وهي تتعلل، وتحدثه حتّى اقتنع رغماً عنه.

وترك يديها في بطنه ومع آخر طرف من أطراف أصابعها، انسلّ من يده ومع أول خطوة، أخذتها لتسير مبتعدة، أسرع الخطى خلفها، ووقف أمامها، ونظر إليها نظرة، سدّدها إلى عينيها، وعدّها بشيء ما، ثم اختطف كف يدها ولثمه في قبلة طويلة مفاجئة. اضطربت الفتاة، وأحمرّ وجهها، وارتعدت فرائصها، وارتبكت وكأنها لا تدري ماذا تفعل ولكنها رمقته بنظرة حب لا تخطئها عين، حبّ حقيقي. تركته وسارت، وهي تلتفت مع كلّ خطوة؛ لتسرق نظرة أو نظرتين إليه قبل أن تغادره.

أما هو فظلّ واقفاً لخمس دقائق كطفل يتيم، خطفت منه روحه وفصلت منه الحياة، ولأول مرة أراه يرفع يديه، يمررها على كتفيه، ويزفر في يديه بقوة، ويجري مهرولاً هو الآخر مثل بقية المارة إلى البيت؛ طلباً للحماية من البرد.



سقف

مستلقيةً على وسادتها الباردة، تنظر إلى سقف الغرفة،
تتمعن فيه، هناك نجوم تسبح في فضاء السقف، وهناك
سحب متخمة بالأمطار أيضاً.

سقف الغرفة ثقيل جداً، يكاد يحطم صدرها، ويزهق
أنفاسها.

تعتدل واقفة بصعوبة، تتجول في أرجاء الشقة الصغيرة
المتكومة على نفسها وعليها، تشعرها بالأمان أكثر،
مما تشعرها بالاختناق، تذهب إلى عرائسها المتوسدة
أريكتها المحببة تحتضنهم بقوة تعتصرهم، لتنزلق
دمعة لا تدري من أين أتت!

تقودها الخطوات إلى أدوات الرسم، ترسم دائرة مغلقة
على لوحها البيضاء ورتوشاً حمراء نازفة تشبه قلباً
مشوهاً وقضبناً سوداء، وبعيداً على أطراف اللوحة
رسمت عيوناً أكثر عمقاً من قلب البحر تناديها،
ووحشاً أسطورياً لا تعرف اسمه.

نار المدفأة تتوهج، تسترجع أسطورة «بروميثيوس».. من

وهب قبساً من نار ليضيء العالم، أحبّ البشر، ففقد
حريته، وعاش مقيداً على صخرة، ينهش نسر كبده،
فيتجدّد وتعاد المأساة، يتعذّب ولا يموت.

ظلال النار تداعب صندوقاً في ركن قبالة المدفأة،
كان هدية من زمن ولّى، فكّرت في لمسه وفتح مغاليقه،
لكنّها تذكرت «بنادورا»؛ التي قتلها الفضول، فأطلقت
عذابات العالم، وتراجعت.

صوت صليل المفاتيح يزعجها، تكاد تجن من أصدائه،
التي تتردّد في أحشائها، ينفتح الباب، فتهبّ رياح
باردة يقشعر لها بدنها، تنطفئ النار، تبتسم في وجه
القادم، ينغلق الباب.

شهادة

منعها شللُ الأطفال من اللحاق بعربة المواصلات، فالكُلُّ يجري ليحجز مكانًا، أمّا هي فكانت تنتظر نصيبًا من رحمة الناس، حينما ظهر هو.. عرض مساعدته ليحجز لها مكانًا، توسّمت فيه الطيبة والشهامة، وحمدت الله أنّ الدنيا لا يزال بها رحمة، وقف على باب العربة؛ حتّى امتلأت ما عدا كرسيّ واحد، قال لها: «تفضلي أختي...» ابتسمت، وهي تدعو الله له بكلّ خير، وعندما جلست على الكرسيّ الأخير بجوار الباب، صعد إلى العربة، وجلس بجوارها، وأغلق الباب، وظلّ مرتكزًا بلحمه المترهّل عليها، أنفأسه اللاهثة النتنة تثير الغثيان والاشمئزاز.

طالبها بطريقة غير مباشرة بدفع الأجرة له معها.. صدمت، لم تستوعب الموقف، دفعت عنه، وعينيها تغرغرت بدمعة غيظ وسخط على الدنيا

ومن فيها وعلى الركاب الصامتين، ظلّت تبعد عنه، حتّى كادت تجلس على قدم من تجاوزها. أصبح الوضع لا يحتمل، أفاقت من الصدمة، وقرّرت أن تتكلم، شعر أنه غير مرحب به، فأوقف العربة، ونزل في منتصف الطريق. لم تفرح، بل احترق قلبها، واحترقت قدمها، التي لامسته رغماً عنها، ورأت أنه من الضروريّ جدًّا، أن تشتري عصا في أقرب وقت.

انعكاس

لا أدري سرّ انجذابي للمرايا، هل هي مجرد عادة نسائية، أم أن هناك شيئاً أعمق يجذبني نحوها، في بيت جدّي كانت هناك مرآة بلجيكية الصنع في إطار من أرابيسك مطعم بالصدف، تتوسط غرفة تحتوي على صالون من الأرابيسك المطعم أيضاً، كانت مرآة ضخمة تعلو.. حتى تكاد تلامس سقف الغرفة الشاهق الارتفاع كسائر البيوت القديمة، وكان لها حرم خشبيّ؛ لتوضع فيه نباتات الظلّ، التي تنمو بمعدلات غير طبيعية، ولكن لم يلحظ أحد هذا الشيء إلا أنا؛ إذ لم أتوقف عند هذا الموضوع، فالمرآة كانت مهيبه وقد تكون مخيفة، أستشعر شيئاً تجاهها منذ كنت صغيرة، كنت أخاف من ارتفاعها، حين أنظر إليها وأتابع النظر إلى أعلى بقامتي الضئيلة، أحياناً، كان ينتابني شعور، بأنها ستبتلعني في داخلها.

كانت غرفة الصالون تستقبل الضيوف المهمّين والمسافرين، وكان محظوراً علينا اللعب فيها أنا وأبناء خالي، لتظلّ مغلقة أغلب الوقت، اللهم إلى أن يتمّ

تنظيفها وتهويتها مرة أسبوعياً مع سائر غرف المنزل،
كبرنا ومات الكبار، وسكن أبناء خالي بيت جدي،
ولم يعد هناك ضيوف، فصارت غرفة الصالون هي
غرفة المعيشة التي نتحدث ونسهر فيها، ونلعب الورق
وغيرها من الألعاب في الليالي الصيفية.

ابن خالي الكبير شاهين دائماً ما يسافر لدواعي العمل
إلى بلدان مختلفة بغرض التجارة، دائماً ما كان يجلب
معه كتباً وألعاباً غريبة من كل بلد يزوره، كان مولعاً
بكل ما هو غريب وطريف، هذه المرة كان مختلفاً
حينما عاد، يظهر عليه الإرهاق والتعب والتقدم في
العمر، ولقد فسرنا ذلك لكثرة أسفاره، تحدثنا كثيراً
ورحبنا بصديقه، الذي جاء ليسلم عليه، والذي تربى
معه منذ الطفولة، وعددناه واحداً من أهل البيت،
وإذا بشاهين يفاجئنا بلعبة أحضرها معه من ماليزيا،
تسمى بلعبة الخيط والمثلث، وهي عبارة عن مثلث
كتب علي زاويتيهِ كلمة Yes و No والمثلث مربوط من
أعلاه بخيط أحمر، اللعبة تشبه لعبة «ويجا» الشهيرة،
ولكنها أبسط، البائع أخبر شاهين بكلمات، يقولها ثم
يسأل أي سؤال، فيدور المثلث، ويتوقف تجاه الشخص

بالإجابة بنعم أو لا ، لم نصدقها ، وأخذنا نضحك ونسخر منه ومن الرجل ، ولكنه أخبرنا في جديده أنه قام بتجربة اللعبة ، وأنها حقيقية .

تعجبنا من جديته وانزعاجه ، فأثرنا لما له من مكانة عندنا ، أن نختصر الموقف ، ونجرب اللعبة ، وبالفعل تحلّقنا في دائرة على الأرض بجوار المرأة الكبيرة؛ حتى إن صورتنا كانت منعكسة عليها ، بدأ شاهين يتلو الكلمات ، وبدأ المثلث يدور ببطء أولاً ، ثمّ بشدة ثم توقّف ، ونحن نراقبه مذهولين ، نظر إلينا وإلى زوجته وقال : «الآن يمكنكم أن تسألوا ما تريدون» ، فتنوّعت الأسئلة بين «حتغني ولا لأ ، حأنجح ولا لأ ، خطيبتي بتحبني ولا لأ ، وفي كل مرة يدور المثلث ويجيب بنعم أو لا ، ونحن نضحك ساخرين على الإجابات .

حتى جاء دوره .. لحظة .. لماذا تغيّر انعكاسه في المرأة ، ولماذا تبدل لونه إلى الأحمر الناري ، الكلّ ينظر للمرأة ، ولم يلحظ ما ألاحظه أنا ، أحببت أن أنبههم ، وقد بدأ الخوف يتملكني ، إلا أن شاهين بدأ يتحدث بجديّة مخيفة ، ويسأل : «هل زوجتي تخونني أم لا؟» صعقنا

وصعقت زوجته! ولكنَّ أحدًا منا لم يجرؤ على النطق، وكان الخرّس ألجم ألسنتنا بلجام من حديد، وانتظرنا إجابة المثلث لتأتي الإجابة «بنعم»، صرخت زوجته مستنكرة، وهي تنعته بالجنون، وضعف العقل في حال تصديقه لهذا «العبط»، ونحن نستوعب حجم الكارثة، ونحاول أن نغير الموضوع، أو نسحب المثلث من شاهين، وننهى هذا الهزل والعبث، إلاّ أنّه كان يزداد تشبثا به، ويصرّ على سؤال المثلث مرة أخرى عن كلّ من في الغرفة، إذا كان فيهم الخائن أو لا، وما زال انعكاس صورته يزداد حمرة، حتى أنني رأيت دخانا ينبعث من جسده ويشكل هالة عجيبة تشبه ظلاً أسوداً، حاولت أن أنبهه وأنبه الآخرين لكنني فشلت، أخذ شاهين يسأل عن اسم... اسم... والمثلث يجيب بـ: لا، حتّى وصل إلى اسم صديقه، فأجاب المثلث بنعم، هنا ساد صمت ثقيل لم يقطعه إلاّ صوت صديقه، وهو يصرخ ويصرّ على الرحيل، وإذا بشاهين يمسك به، ويجذبه من عنقه محاولاً قتله.

تحلّقنا حولهما، نحاول الفصل بينهما، إلاّ أنّ قبضة ابن خالي كانت مميتة تماماً على رقبة صديقه، الذي كان

يحشرح حشرجة شرخت قلوبنا، ونحن نحاول إنقاذه، في الوقت الذي لمحت مشهداً غريباً: الهالة الشيطانية السوداء كانت تتصارع أيضاً مع هالة بيضاء صراعاً لا يقل في شراسته عن صراع ابن خالي وصديقه.. مرّ وقت غير محسوب ولكنّه وقت ثقيل وطويل وإن قصر، حتى غلبت الهالة البيضاء الهالة السوداء، هنا سقط شاهين مغشياً عليه من دون أيّ مقدمات، ونحن في نهبول.

بأعصاب مهلهلة حاولنا أن نطمئنّ عليه وعلى صديقه، الذي كاد يلفظ أنفاسه، بكنت زوجته، وأخذت تبرّيء نفسها، ونحن نشفق عليها، ورحلوا جميعاً، وهم يحملونه لغرفة من الغرف لاستدعاء الطبيب، وتركوني وحدي أقف أمام المرآة متسائلةً عن صدق ما رأيته، وإذا بي أشعر بحرارة ودوّار، وكأنّني غبت عن الوعي برهة، وفتحت عيني، وأنا أستعيد توازني.. وجدتني أقف أمام المرآة، وأبناء خالي وزوجة شاهين وصديقه يتحدثون، ويضحكون، وإذا بشاهين يفتح باب البيت، ليهرولوا جميعاً لتحتيته، وهو يخبرنا أنه أحضر معه مفاجأة جديدة.



لحظات حرجة

في المساحة البيضاء بين الموت والحياة، كانت تنظر إلى السماء، تملأ عينيها الدموع، لا ترى شيئاً إلا عينيه، ولا تسمع شيئاً مما حولها من ضجيج مضطرب إلا صوته الحاني مغرداً بأغنيتته؛ التي كتبها من أجلها يوماً. كانت ترجوه، وتتوسل لهذا الطيف الحالم أن يبقى معها في لحظاتها الأخيرة، لعلها تجد فيه العزاء، الذي لم تجده في حياتها الجافة البائسة.

كان يلوح لها مبتسماً، كأنه وجد طريقاً آخر يحمل مسراته؛ ليتركها وحيدة، تعاني ألم الاحتضار.. الاحتضار الذي لم يستح أن يسرق زهرة شبابها، الاحتضار الذي ارتضته، واستسلمت له بشرط واحد.. أن يظل وجهه آخر شيء تراه، ويظل صوته آخر شيء تسمعه، لتصحبه معه مؤسساً لوحشتها الجديدة في العالم الآخر.

بخل عليها بذلك، كان أنانياً قاسياً، لا يملك بين جوانحه قلباً حياً، وعلى الرغم من ذلك أحبته حباً لا يستحقه، ولو علم مقداره لظل قابلاً تحت قدميها، يبكي ألماً على فراقها الأخير الأبدي، ولتمنى أن تعود الأيام؛ ليعوضها عن كل لحظة شعرت فيها بالألم والحزن والحرمان،

وهو لا يدري، أو لعله يدري، ولكن قسوته وغروره منعه أن يشاطرها العزاء في روحها المحتضرة.

كان من حولها في غاية الحزن، يتحركون في كل اتجاه ويلتمسون كل السبل، ليؤجلوا النهاية المحتومة، لم يكونوا يعلموا أنها تحتضر منذ عمر مضى، روحها المنفلتة من جسدها البارد كانت تقول لهم: أن يدعوها، فلم تعد تريد حياتكم هذه، كنتم جميعاً حراس سجنها الكبير، تبحثون عن وسيلة لإبقاء اسمها في سجل الأحياء، وأنتم تحسبون أنكم تحسنون صنعاً.

دعوها ودعوني أخرج للحريّة.. للحياة الحقيقية بعيداً عنكم جميعاً.. بعيداً عنه.

ما زال الطيف يعذبها غير قانع بما سببه لها من عذاب، وما زال صوت الأغنية يتردد، وهي شاخصة إلى السماء، ترجو الرحمة، وبعد لحظات تحجرت دمعة في مقلتها، ولم تنحدر قط على وجهها البارد الذي ظللته ابتسامة ملؤها البراءة.

لقد تحررت.

الوشم

قال لها:

«إن إزالته ستؤلم وأنه لا سبيل إلا الحرق والنزف والكي»، فوافقت من دون تردد.

أخذ الرجل يعمل في صمت، يقطع الجلد ويمحو التفاصيل بآلاته الحادة الصغيرة الجهنمية؛ لبدأ الألم. تذكرت ساعتها أول مرة دقت هذا الوشم، كانت سعيدة حد الارتباك، هي ذاتها صورة نفس الإنسان، ولكن وقعها في النفس تغيير، في المرة الأولى، وعلى الرغم من وجود الألم كانت سعيدة مع كل تفصيله، يرسمها الرجل من تفاصيل وجهه، يقفز قلبها فرحًا كالأطفال.. الآن تستطيع أن تحتفظ به، وأن تنظر إليه كلما أرادت.

الآن لن يستطيع أحد أن يأخذه منها، أو يبعده عنها؛ حتى هو نفسه... هكذا تصورت.

مرت الأيام بأحداثها الثقيلة ولم تكن تتخيل أنها سوف تأتي لنفس المكان مرة أخرى، ولكن هذه المرة لتمحو الصورة، التي طالما قاتلت لتظل محتفظة بها، تراقب الرجل في تجمه، في نظرة عمرها ألف عام، نظرة محملة بالتجربة والنضج وشيء كثير من الوهن، وهو يمحو كل تفصيلة بدقة

والنزف الصارخ بالألم، يغطي الأجزاء التي تُمحي دون رحمة أو هوادة، رويداً رويداً، كما محت الأنانية والقسوة حياتهما معاً رويداً رويداً، جزءاً.. جزءاً...، تفصيله.. تفصيله...، وجاء ميعاد الكي الذي لا بدّ منه وإلاّ نذفت دماءها بلا توقف، مصاحبة لروحها أيضاً، صرخت، بكّت، تألمت، استكانت، ها هو ذا رحل أخيراً، كان ألم الرسم أرحم كثيراً من ألم الإزالة، ألم الإزالة لا يوصف!

زفرت في راحة.

ولكنّ الرجل أخبرها ببقاء علامة الكي مشوّهة الجلد، وقد تشفى مع الأيام، ولكنها لن تزول نهائياً، فابتسمت له بسخرية عاقدة العزم على أن لا ترسم وشماً مرة أخرى.

نكدوب

تنقر على يد الكرسي في توتر بالغ، تنظر للعبة الفضية؛
التي تعود للقرن الثامن عشر، تتأمل نقوشها العميقة، التي
صنعت بدقة والتي تبدو كندوب على سطحها الأملس، والمينا
الزرقاء التي تزيّن النقوش، والتي تذكّرها ببحر الإسكندرية،
صديقها القديم، الذي طالما جاورته لتبيع التفاح المحلى
«خد الجميل» لرواد شواطئه على رصيف الكورنيش.

ها هو العرض الذي تدمن حضوره أوشك على البدء،
حيث اقترب ذلك الرجل البالغ الطول المهنّدم بشكل زائد
من المنصة ممسكاً بيده مطرقة، تشبه تلك التي رأتها في
المحكمة ذات يوم.

عندما توفي الرجل الثري المسن، الذي أعجب بها وفي
لحظة قدرية، وعلى الرغم من الفروقات الكبيرة تزوجها،
شارت ناثرة أبنائه، ولكنه كان رجلاً بحق؛ إذ دافع عنها حتى
هزمه المرض، فأذاقوها أشدّ أنواع التنكيل والعذاب من حبس
وخطف ومعايرة بانعدام أصلها، وأنها فتاة الشارع الضالة كما
الكلاب، وقاموا بكّي يدها لإجبارها على التنازل، عمّا كتبه
لها زوجها من أمواله.

ما زال أثر الحرق موجوداً شاهداً على تلك الأيام،
ما زال يؤلمها، تخبئه تحت سوارها الماسي الجديد، تنظر
له، وتبتسم.

تتذكر قوتها في الرفض وعنادها وتمكنها من الهروب
ولجئها إلى القانون، القانون الذي حكم بمطرقته على صحة
وجودها الإنساني وحقها في الحياة الكريمة.

بدأ الرجل في التحدث واصفاً تلك القطعة الفريدة:

«علبة صنعت من الفضة الخالصة، مطعمة بالعاج والمينا
الزرقاء، تم صنعها يدوياً، منشؤها إنجلترا، مبطنة بالمخمل
الأزرق والحريير الطبيعي، وليبدأ المزاد بألف جنيه كقيمة
أولى»

يبدأ الحاضرون في المزايدة، تتسارع ضربات قلبها
تتلاحق الذكريات يزداد نقرها على الكرسي، تزايد وتزايد،
حتى تسمع الكلمات السحرية (... ألا أونا... ألا دوي... ألا
تري ... sold).

عندها يبدأ النبض في الهدوء والنفس في الراحة والسكينة،
لقد امتلكت قطعة جديدة تحمل تاريخاً عريقاً وأصولاً معروفة

في سجلات المزادات وفي العائلات الكبيرة المهتمة بالتحف وأصولها.

تحمل القطعة الجديدة إلى سيارتها الفارحة فرحة زاهية إلى فيلتيها الخاصة في نشوة مضاعفة؛ لنصر جديد، ستضيف قطعة أخرى لما تمتلكه، وحينما تتعرف على صديقة جديدة، تخبرها أنّ القطعة كانت لجدها الأكبر فلان بك، وأنّها وجدتّها في متعلّقات الأسرة القديمة، التي وضعت في شقة صغيرة بعد أن استولى ضباط الجيش على القصور والأراضي والأموال الخاصة بعائلتها العريقة، وعندما ترى لمعة التقدير في عين الصديقة، يسكن ألم الحرق القديم.



مفترق

لم أعد أهتمّ بكلمات الحب ، التي تلوح بها لحرماني ،
ولم تعدّ تغريمني لعبة الوهم ، ولم تعدّ تهمني نظراتك الحزينة
وحديث عينيك ، الذي يسبح بحبي رغماً عنك ، فلقد تعلّمت
تأويل عينيك منذ زمن طويل .

لقد اتخذت قراري وفصلت قابس مشاعري بلا رجعة ،
ستظل حبيبي الذي أستمّد منه إلهامي وطاقتي للحياة مهما
فعلت ، مهما ابتعدت أو اقتربت ، مهما لوّحت بحبّك لغيري
من النساء ؛ لتثير غيرتي ، فكلّ هذا تحصيل حاصل .

أنا لا أراك ، وإنما أرى الصورة ، التي ولدت في خيالي منذ
زمن بعيد.. الصورة التي طالما كنت وفيه لها ، والتي كانت
دائماً وفيه لي.. الصورة التي لم تفارقني لحظة واحدة ،
أسمع منها ما أريد سماعه ، وأفضي لها بمكنونات قلبي
كما أشاء ، وأجد منها الوفاء والبراءة ، التي افتقدتها فيك .
وضعت الزهور على القبر ، ونظرت في غضب باكية ،
وهي تهّم بالرحيل ملتفتة ، لتلقي نظرة أخيرة ، وهي تقول :
«أتمني أن أجدك في انتظاري المرة القادمة ، فلن أغفر
لك كل هذا الإهمال ، ولن أسمح بأي أعذار للغياب» .



المختار

أرتشف بعض الحنين الملغز من الكابتشينو الدافئ،
أذوب في خفقات الكريمة وفي قطرات الكحل السائل على
وجنات العجربة المليحة، التي جلست قبالي تقرأ لي
فنجاني السابق من القهوة، كانت عيونها ملغزة الحنين
أيضاً متناصة مع سحر الكابتشينو، تنظر في عيني تخبرني
بعيونها أكثر مما يبوح لسانها لي.

تتراقص دمعة حزن تأبى أن تنزلق من عينيها وهي
تقول:

«ماضيك مر كقهوتك ومستقبلك تكتبه بعض حروف من
ماضيك وحروف أخرى من ماض آخر».

تعجبت ولكنني تركتها تكمل.. أقرأ عيونها وتقرأ
فنجاني:

«أمامك طريق طويل يمتصه الضباب في أحشائه مخلفاً
وهمه الأبيض، تبده أشعة شمس هاربة ضلت طريقها،
أشعة ذابلة تصارع من أجل الحياة، فنجانك ملئ بالرموز
والصور وأكثر ما يدهشني فيه كتلة السكر، التي تجمعت

حول صورة وجه وعلم وبعض قطرات تشبه قطرات الدماء
تقطر من قلب ممزق يقبع في قاع الفندجان».

تفرّ دمعة من قلبي، يذرفُها خلسة، يخفيها عني،

عيونها

رأت الدمعة تحمل اسمًا وتاريخًا وعنوانًا وقصيدةً،

ولكنّها صمتت.

أحياناً يتركنا الكلام، ويرحل عندما ييأس من جدواه،

يغترب في غيرنا تاركًا لنا عجز الأسرار وحيرة القرار.. وأوراق

تاريخنا المصفرة تتساقط كأوراق الشجر في خريف العمر.

قالت :

«يا بني انتهيت».

ولكن عيونها لم تنته بعد، ولم أنته منها ومع ذلك

أعطيتها نقودًا، وتركتها تنصرّف مخلقة الدهشة تمتزج مع

سؤال حائر... قهوتي كانت سادة!!

الحبّ... حرام

«الحبّ حرامٌ، الحبّ عيبٌ، الحب مفتتح الخطيئة.. جذورنا ريفية، لن تنسينا المدينة هويتنا، ومبادئنا القائمة على النخوة والشهامة، نخشى الملامة ونهاب سوء السمعة، لا نملك سوى شرفنا وعلمنا تاجًا على رؤوسنا، يميّزنا ويزيدنا رفعة بين الناس».

كانت هذه كلمات الأم التي لظالما ردّدتها على مسامع ابنتها يومًا بعد آخر، حتّى حفظتها عن ظهر قلب... أصبحت «رهف» إنسانة جامدة المشاعر، تتصنّع الجديّة، تخجل من أنوثتها وتواربها خلف حجب كثيرة، في انتظار الفارس الذي يكسر الحجب ويحطّم الأسوار بموافقة الأهل طبعًا، لتخرج له كلّ ما ادخرته من أحلام الحبّ المقهورة، وفيض المشاعر الخجلة؛ لتعلن عنها محررة إياها من قمقم الضعف والخوف.

تقابلا، كانت تراقبه حينما يتحرك، أو يتحدث، تلمع عينها ببريق روحها، التي تتوق أن تقترب منه.. كلّ يوم تتأكّد أنّه نصفها الآخر وتوأمها المفقود، نفس الرؤى، نفس الروح الطفولية المرحة البريئة، نفس العقلية المتزنة، شعرت

في مرات عديدة أنه يشعر بها بل ويبادلها نفس الشعور، كانت تنتظر أن يصرح ويطلب مقابلة والده؛ ليكسر القفل الصدئ المعلق على لسانها، فتبوح بسرها له.

مرّت الأيام، ولم يفاتحها في شيء على الرغم من الصداقة التي توطدت بينهما، والتي كانا ملتزمين بشروطها أشد الالتزام.. من حرمة الإخوة حتى الاحترام المتبادل، وفي يوم من الأيام شاهدت علي وجهه أمارات السعادة، ففرحت من أجله.. سعادته كانت بهجة من مباحج الحياة، وسألته عن سبب هذه السعادة، فأسرّ لها أنه قام بخطبة قريبة له، وأنه لم يذع الخبر حتى إعلان الخطبة ومراسمها رسمياً، وأنها أول من يعلم لأنها أخته العزيزة وصديقه المقربة، ضحكت، وهنّأته وصمّتت، ثم انصرفت بدافع واه.

طوال الطريق تشعر بנגز في القلب، على الرغم من سعادتها الحقيقية لأجله، أحياناً الفرح يشكّل عبئاً إضافياً على عضلة القلب، كلّ ما كان يهّمها أن يكون سعيداً، فرحت أنه أسر لها هذا الخبر، كما يسرّ لها الكثير من الأحوال والأخبار.. كانت سعيدة بثقته.

ولكنّها تساءلت عن صوت التحطّم الذي يتردد في أذنها منذ غادرت.

جبن تركي

نظراتهم تمزقها إربًا، تقتل أحلامها في يوم جديد تكون فيه ما تستحق أن تكونه، تلدغها النساء بالسنتهن اللاذعة، لتسبم أيامها، ومع ذلك تغتصب من القلب ابتسامة؛ لتقابلهن بها تحرجًا وخجلًا.

المعاناة اليومية في المواصلات تتجسد عندما يقبل عليها سائق «المشروع»، وهو ينظر لها في تأفف، نظرات تعرفها جيدًا وتفهمها.

عندما تهتم بحجز كرسي واحد فقط كباقي البشر، فيصرّ على أن يحشرها بجوار راكب آخر في الكرسي الخلفي، عقابا لها على عدم حجز كرسيين، يليقان بوزنها الزائد، متجاهلاً مدى قدرتها المادية على ذلك.

فكرت في أن تمتنع عن الطعام، صديقها الوحيد بعد رحيل الوالدين ونذالة الاقارب وفقر الحال، الذي يصرف عنها الأمل في فرصة لائقة للزواج في زمن يبحث فيه الشبان؛ عن من يقدر على حمل ثقل تبعات الزواج المادية.

الطعام صديقها الذي يدخل عليها البهجة والسرور، ويواسيها في وحدتها.

كان مصير محاولاتها المستميتة والمستمرة دائما الفشل،
ترضخ الإرادة أمام المسكن الرائع، الذي يمنحها السلام
والسكينة دون أي جهد.

الطعام بالنسبة لها كان بمثابة الملاط التي تغفق به
ثقوب حياتها الشبيهة بالجبن التركي، حياة مليئة بالثقوب
ولها ملوحة لاذعة تحرق الحلق، ولكنها تسدّ الجوع وتسرّ
الناظرين باصفرارها الفاقع ورائحتها الذكية.

ليالي مقمرة

«في مدينة الصيادين الحياة صعبة، في مدينة الصيادين الليالي حزينة»

هكذا كان يغني الصبي الصغير وهو يتمشى على شاطئ البحر في ليلة من الليالي المقمرة، كان والده صيادًا فقيرًا يلقي بشباك الأمانى والرجاء كل يوم؛ ليعود آخر النهار بما يسدّ به رمق أبنائه، وكانت زوجته تغزل من الصبر رداءً؛ ليواربهم من برد الفقر والعوز، ودائمًا كانت تخيف الصبي من المشي على الشاطئ في الليالي المقمرة؛ خوفًا من حكايات قديمة يتناقلها البحارة عبر العصور على الرغم من أن أحدًا لم يستطع تأكيدها.

الصبي يخاف من الجوع والبرد والفقر أكثر من حكايات البحارة القديمة، لذا قرر أن يتمشى على الشاطئ، ويستمتع برائحة البحر ومنظر القمر الذي غافل الناس؛ ليستحم في مياه البحر المنعشة عاشقًا لصورته المنعكسة على صفحة الماء.

وبينما هو يغني؛ فإذا بالماء يضطرب، وتظهر له صبية جميلة تنظر له وتبتسم، خاف لحظيًا، ولكن عينيه ارتاحتا لبراءة الوجه الجميل، واقترب بمصباحه الصغير منها وسألها:

«من أنت؟ وما أنت؟».

قالت له :

« عروس البحر التي ينسجون عنها الحكايات ويقولون عنها: إنها تخطف البحارة».

فتبسم الصبي ضاحكاً من قولها، فتعجبت، وقالت :

«ألا تخاف مني أيها الصغير؟».

قال لها :

«لا ليس فيك ما يخيف إلا حكايات البحار..ة وهي مجرد حكايات للتسلية أمام النيران في الليالي الباردة الطويلة».

فابتسمت له ، وأعجبت بشجاعته وقالت له :

«لست تنتمي لقرية الصيادين، فما رأيك أن تأتي معي ونلعب سوياً؟ سوف أحضر لك كل ما تشتهي».

قال لها :

«أما اللعب فنعم، وأما أن آتي معك فلا، لأنني قررت تغيير الأغنية الحزينة التي يشدو بها الصيادون، وأكتب أغنية جديدة سيكون مفتحها: «في مدينة الصيادين الحياة جميلة، في مدينة الصيادين الليالي كالخميلة، تفوح بعطر

الورود»، وسوف أقنعهم بالتخلي عن الأغنيات القديمة، وأبينّ لهم أن حكاياتهم عن الليالي المقمرة خرافات، لا يمكن أن يجتمع النور الذي يبدد الظلام بالخوف والأوهام.

ازداد إعجابها بالصبي وقالت له :

«إذن سنصير أصدقاء، وسوف آتي لك في كل ليلة مقمرة؛ لتحدثني عن أحلامك وأغانيك، ونلعب سويًا، وأجلب لك كل ما تريد من حلوى، فلا تنسَ موعدنا في الليالي المقمرة.



م... م

شيء مجهول يجذبها نحوه، تداعبها فكرة السماح له
بمداعبة قدميها، فهي تعشق تدليله إياها بهذه الطريقة،
تعلم أنها لم ولن تكون الوحيدة، التي يدلُّها هكذا، ولكنها
ستكون من القلائل الذين اشتهاوا أن يدثرهم بعباءته؛ ليذوبوا
فيه عشقاً أو رحيلاً.

تقترب منه، وترى انعكاس وجهها في عيون الزرقاء
الهادئة، تعلم أنه لن يظل كذلك لوقت طويل، فسطوة
غضبه لا تقل إطلاقاً عن جمال صحبته وعشق هواه، تقترب
وتقترب وتدخل تدريجياً معه في عناق دافئ رغماً عن زخات
المطر، يطرب وتشتعل مشاعره، يجذبها ببطء ونعومة يغريها
بعناق أعمق تعلقوا أذرعيه وتحيطها من كل جانب، تسمعه
يهمس لها بأنه هو الحب الحقيقي، وأنه أكثر وفاءً من
غيره، تصدقه وتتماهى فيه مستسلمة؛ لعناق تآقت للهفته في
أحضان أسمنتية حادة الزوايا.

مزقت حياتها، وامتصت رحيق الحياة منها، كما
يمتص الأسمت الماء؛ لتزيد صلابته، ما أجمله من عناق
وما أروع دفء الحنان فيه تضطرب أنفاسها، ويعلو شهيقها
متواترة مع حركة ذراعيه البيضاء الساحرة، تصير كلعبة
بين يديه، وتنفلت من سطحه إلى أعماقه، مصدره شهقة
أخيرة.. وهي تبتسم.

السيد (س)

دائمًا نظراته حزينة عندما تتصيدها دون أن يدري،
تواري جرحًا في القلب وحيرة، نظراته بحر عميق ليس له
قرار، تأخذك إلى حيث اللاوجود، إلا له وحده، تخفي طرقًا
متشعبة وغرفًا مغلقة ومغامرات من الغموض.

ذلك الغموض الذي يشوش على النور الساطع الكامن في
داخله، فيزيكه قليلًا أو يكبته مرات ولكنه موجود بداخله
بكل تأكيد.

السيد (س) صديق نفسه وخصم نفسه أيضًا، يوزّع غرف
القلب الشاغرة على من يريد.. في الوقت الذي يريد، وعندما
يعتقد الجميع أنهم تملكوا هذه الغرف تكون الحقيقة هي أن
قلب السيد (س) للسيد (س) فقط،
هو سيد قلبه الوحيد.

كلما تسبر أغواره تكتشف أنك ما زلت تتهجّى أولى
حروف الكلمات في هذا الكتاب الملعز، والغريب أنك لا تملّ
أو تياس من فك رموزه وطلاسمه، وتظلّ تتساءل دائمًا دون
إجابة... ترى ما هو سر السيد (س)؟

ولكن الطريف في الموضوع أنه عندما تصل إلى هذه
النقطة، فاعلم أن السيد (س) استحوز عليك بالكامل، وصرت
واحدًا من رعاياه أو عبيده.

وستكون أدمنت لعبة البحث، فلا تستطيع التوقف.
 مرت السنوات، وما زالت تنظر إليه بانبهار، كطفلة
 صغيرة ترى أمامها معجزة تتحقق من عالم الأحلام، ينطلق
 الإعجاب من عينيها وتصفق طربًا ومحبة له تزامنًا مع
 تصفيق الجمهور، عندها يقين بأنه لا ينتمي لهذا العالم،
 وإنما هو عالم بذاته، يستطيع أن يحقق الأحلام كلها، لأنه
 صانع الأحلام، تظللّه هالة من الهيبة والوقار والاحترام،
 على الرغم من الطفل المشاكس الذي يطل دائمًا من عينيه،
 الطفل الذي تحبّه وتعتبره انعكاسها الطفولي في المرأة، مازال
 ساحرًا وصانعًا للألعاب بمهارة تذهلها، وتجعلها ترتشف
 من مهاراته والأعيبه دون أن ترتوي، وما تلبث أن تطلب أن
 يعيد العرض من جديد، دون ملل أو كلل، وأقصى أمنياتها
 أن يقيم عرضًا خاصًا لها وحدها والّا ينتهي العرض أبدًا .
 خرجت من ساحة السيرك؛ وهي سعيدة محلقة،
 يتبعها كلبها مستندة على عصا طويلة قابلة للطي، تعدل
 نظارتها السوداء التي ترتديها في عتمة الليل، وترفع عصاها
 لتشير لعل سيارة أجرة تلتفت إليها تقلها إلى منزلها.

مساحة بيضاء

مشهد (1)

أهداها بضعًا من كلماته ذات حبّ، احتضنتها وزرعتها
في قلبها، كانت تروبها بدموع يأسها وخيباتها، تطل من
كل حرف فيها عيناه، السحر كله، الصدق كله يسكن في
عينيه.

خصّها بهذه القصيدة محرّمًا إيّاها على النشر، كانت
أغلى ما تملك، بل كانت كل ما تملك، وكأن الدنيا حيزت
لها بحذافيرها في هذه الورقة المنثور عليها صدقاته الحبرية.

مشهد (2)

في العيد، حينما ذهب الناس لذبح أضحايهم، التقت به
في مناسبة ما، كانت صامته كعادتها تنظر لامعة العينين،
صعد على المنصة، وهي تنتظر ما سيتلوه بلهفة الجائع،
الذي ينتظر حصته من الخبز؛ ليقيم بها أوده.

وإذا به يلقي قصيدتها (قصيدته) أمام الحضور متباهيًا
متبخترًا منتشياً، صفقت له بحرارة، وهي تضحك باكية.

إعصار من الغضب، من الأسئلة، هل نسيها؟ أم نسي
أنه أهداها إيّاها؟

كيف يغتصب ملكيتها لهديته، التي أمطرتها دموعاً وعطوراً، كيف يقتل صديقتها، التي آنستها في ليالي باردة، تحكي لها غدر الأيام، وتشكو لها قسوة الأقدار؛ لتواسيها وكأن كل حرف فيها يمد لها يداً.. تربت على قلبها في حنو وطيبة، لم تطلب يوماً أكثر من ذلك.

اقتربت منه باسمه، وهنأته ودعت الله أن يتقبل منه أضحيته، تعجّب قائلاً: إنه لم يضح هذا العام! نظرت له ثم تركته ورحلت.

مشهد (3)

في البيت جلست أمام المرأة مغرورة العينين، تنظر ذاهلة إلى الورقة التي ذاب فيها الحبر من أثر أمطار عينيها، التي غسلت الكلمات قاطبة؛ لتصير الورقة بيضاء، مجرد ورقة بيضاء رخيصة، ليس لها أي قيمة، مزقتها وأشياء أخرى لتحاكي ممزقات كثيرة تحفل بها حياتها، لملت كل هذه المهملات، وألقت بها دفعة واحدة وبكل قوة في سلة المهملات، لم تبق على قصاصة واحدة.

مشهد (4)

يوم ممطر، تقابلا، حيثه بطبيعتها المرححة وقلبها

الطيب.. تحدّثت معه في عجالة ناظرة إلى عينيّه؛ اللتين ما انفكتا ترسل لها رسائل لا يستطيع أحد غيرها فك شفراتها، كانت الرسائل تصطم بوجهها البارد لتسقط أرضاً، وتتلوث بمياه المطر المخلوط بالأتربة، تركته، ورحلت وهو ينظر لها في عدم فهم، اختفت بين جموع البشر المهوليين طلباً للدفع. ضاعت منه في وسطهم.. ولكنها تعرف طريقها جيداً.



وجد

البحر يهدر غاضبا الليلة، يهدّد من على سطحه،
وينذر بليلة عصبية، الموج يزمجر.. يشتبك ضاربًا نفسه
بصخور الشاطئ؛ لينهي حياته، ولا يتبقّى منه سوى زبد
أبيض يشهد على موج تائر مر من هنا.

«وجد» فتاة مجنونة هكذا يتحدث عنها أهل الأنفوشي،
نعم فمن لا يعرف «وجد» ابنة الشيخ «مفتاح» الصياد حامل
القرآن، كما يطلقون عليه، لحفظه للقرآن الكريم كاملاً، لم
ينجب الشيخ غير «وجد» فقد توفت زوجته بعد وضعها
بقليل، كانت «وجد» أم أبيها وصديقتها، لم تكن يوماً فتاة
عادية، كانت تخالط صبية الحي، وتلعب معهم وتستمتع
بهزيمتهم أمامها في ألعاب الكرة والحجلة والسبع طوبات
والسباق من القلعة وحتى رأس التين، كانت تثير غيرة
الفتيات لجمالها ونفورهم منها لمخالطتها للصبية ولحدتها
وقوتها؛ التي تشبه أفعالهم إلى حدّ كبير، كانت وحيدة وكان
يؤنس وحدتها صديقها الوحيد الشيخ «مفتاح»، كانت تحفظ
على يديه آيات الله، كان حكيماً وصبوراً، يعلمها ويفيض
عليها من حكمته ومعارفه، فقد كان كثير القراءة والاطلاع
على الرغم من أنّ عمله المبكر منذ صغره أجبره على ترك

التعليم بعد حصوله على الشهادة الابتدائية، حاول الشيخ مفتاح أن يحقق حلمه في «وجد»، بحثه الدائم لها على إكمال تعليمها، وكان أمله أن تحصل على أعلى الدرجات العلمية خاصة، وهي فتاته الذكية المثابرة، إلا أن «وجد» أثرت أن تساعد أباهما في أعمال الصيد وأن تصعد معه على المركب «عمرانه» لعشقها للبحر ورغبتها في العناية بأبيها، واكتفت بحصولها على شهادة البكالوريا، كانت «وجد» دائما ما تصعد على متن المركب وتنظر شاردة إلي البحر.

لاحظ والدها ذلك وسألها فيم الشرود؟! فكانت تردّ قائلة: «إنها تفكر دائما في خط السراب الواصل بين السماء والأرض، وإنها تتمنى أن تصل إلى هناك». فيضحك الشيخ «مفتاح» وهو يعلم أن الوقت طال، وقد أصبحت شابة جميلة ومع ذلك لم يتقدم أحد لخطبتها، فالصبية الذين صاروا شبابًا حاولوا التعدي عليها، وكانت تزجرهم وتلقنهم دروسًا بكعب حذائها المدبب.. لم ولن ينسوها، لم يفكر أحد في أن يحب «وجد».

ففي اعتقادهم أنها فتاة لا تصلح للحب، يطمعون في جمالها نعم لكن لا يحبونها، ربما لقوتها وذكائها ربما لصلابة عودها وقوة شخصيتها، ربما لأنها لا تكذب أبدًا. حينما كانوا يفكرون في الحب، كانوا يذهبون لفتيات

الحي الأخريات المصونات بداخل بيوتهن الأقل جمالا أو الأقل علمًا أو الأقل صدقًا.

لم تكن «وجد» تفكر كثيرًا في هذه المسألة، فقد كانت مكتفية بحبها للقراءة، الذي ورثته من والدها وبعملها معه في سابقة من نوعها في البحر الذي تعشقه.

ولكن والدها كان يؤرقه تأخير زواجها خوفًا عليها بعد رحيله متسائلًا من يؤنس وحدتها، من سيراعيها ولكنه كان يسلم أمره لله، ويدعو بقدر برّها به وحبّه الشديد لها.

مرت الأيام ومات الشيخ «مفتاح»، أصرت «وجد» أن تحمل نعشه على كتفها رغم اعتراض أهل الحي، كانت تعتقد أن والدها أمانتها، ويجب عليها إيصاله لثواه الأخير وأنها أحقّ من أهل الحي بحمله على أكتافها التي ربت وكبرت من فضله.

عادت «وجد» إلى منزلها وحيدة، أغلقت الباب ونظرت لحذاء أبيها فأحكمت إغلاق المزلاج، نامت في سريريه في مكانه بالضبط وتدنّرت بغطائه الذي مازال يحمل رائحته ونامت.



حلم أبتور

متّسخة ملابسهم، ملطّخة وجوههم بالتراب، يتقافزون في تحدّ ومشغبة للأيام الصفراء المنطبعة على ملامحهم، يدفع كل منهم الآخر في براءة مشوهة؛ ليحصل على مكانه المميز فوق المركبة القابعة في سكون في الطريق؛ ليتخيّل كل منهم أنه مالکها أو قائدها، الذي يمشي متبخترًا بين الناس، تناوشهم أو هام رجولة مغلوطة الفكرة والتوقيت، يضحكون في نشوة انتصارهم المزيف، ضحكة تزجي الوهم بداخلهم لبضع دقائق، ثم لا يلبثون أن يستيقظوا على حلمهم المبتور، عندما ينادي عليهم صاحب العمل ويعطي كل منهم حصته من علب المناديل التي يدسها كل منهم رغما عنها - هي الأخرى - في أيدي المارين وركاب الحافلات، لينطفئ شعاع البراءة الأخير في أعينهم، ويحل محله هرم الأيام ومرارتها في جديّة مقززة.

تتناوب نظراتهم إلى المارة في غضب تارة وفي حقد تارة أخرى، مناقضة لكل قوانين الطفولة والبراءة، يصبو كل منهم لأن يكون مالكا لمركبة أو سيارة فارهة كتلك القابعة في صمت؛ ليقودها، ويثير بها غيظ وحقد الآخرين، مؤكّدا لذاته، أنه لا يقلّ عن الذين ملكوها يوما ما، ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟ فالسبل مختلفة والأبواب السود مفتوحة

على مصارعها، لا يحجمها تربية قويمه، ولا تردعها رحمة، لأنّ الشارع لا يربي ولا يرحم.

الشارع حلبة صراع تكرر لمبدأ البقاء للأقوى وللأدنى أخلاقاً وللاكثر شرّاً، هذا هو قانون الشارع.

نظرت إليهم، وأنا أفكر، كيف يمرّ بهم الناس كلّ يوم ولا يرون ما وراء هذه العيون الزجاجية، التي فقدت بريقها وصدقها منذ زمن، ولا أدري أي زمن؟!

قطع أفكاري صوت أحد الصبية، وهو يرمي إحدى عبوات المناديل في حجري، ويلتصق بزجاج الميكروबाص بيديه اللزجة المتسخة وهو يقول:

«بالله عليك ما ترديها يا مدام عايز أفطر».

الكاتبة في سطور

- رانيا ثروت المصيلحي
- مواليد الإسكندرية
- بكالوريوس تجارة - شعبة محاسبة - كلية التجارة جامعة الاسكندرية
- قاصة وناقدة بالمجال الأدبي
- عضو مختبر السرديات بمكتبة الإسكندرية
- عضو ندوة الأحد بقصر ثقافة الشاطبي
- مؤسس لورشة «تجربة» للكتابة الإبداعية

الإصدارات السابقة

- مجموعة من القصص قصيرة جدا المنشورة لي في كتاب قصص عربية قصيرة جدا ضمن القصص المنشورة لعدد من الكتاب المصريين والعرب في إطار فعاليات مؤتمر الاسكندرية الاول للقصة القصيرة جدا - دورة الاديب مصطفى نصر 2013. (دار رهنف للنشر والتوزيع)
- قصص قصيرة جدا الموسوعة العربية النسائية للقصة القصيرة جدا (دار النابعة)
- دراسة نقدية عن المجموعة القصصية «الغرفة عشرين» للكاتبة شرين طلعت منشورة علي موقع كتب ا. مصطفى الجارحي
- دراسة نقدية عن المجموعة القصصية «قوس قزح» للكاتبة إيمان يونس منشورة بجريدة الرأي العراقية
- دراسة نقدية منشورة ضمن مجموعة من الدراسات النقدية في كتاب «آفاق السرد» دراسات نقدية بمختبر السرديات الصادر عن مكتبة الإسكندرية العام 2016
- قصة «مشجب» منشورة إلكترونيا علي موقع جريدة الجمهورية اطلعت طه
- مجموعة من القصص المنشورة ورقيا بأعداد مختلفة لجريدة تينسي

أراب نيوز TN Arab News للكاتب الصحفي الكبير ا. فوزي ميخائيل الصادرة في ولاية تينسي الأمريكية .

• مقال منشور إلكترونيا بموقع كل العرب ا. حسام أبو العلا بعنوان «ورش الكتابة الإبداعية حقيقة مثمرة أم وهم زائف»

• دليل الكاتبات المصريات لعام 2015 (دار ليان) تحت الطبع .

• كتاب يضم بعض من دراساتي النقدية بعنوان « تأملات في رياض السرد »

• « إيبرو » مجموعة قصصية

• « فتوح الموالى » رواية

• « فصول الرؤيا والحب » نصوص نثرية وخواطر شعرية

الأسهامات الأدبية

• العديد من القصص القصيرة والقصيرة جدا والمقالات والقصائد النثرية المنشورة لي في عدد من المجلات الالكترونية مثل:

• شمس المستقبل (استاذ محمد نبيه)

• بوابة المصري

• الديوان(استاذ احمد كامل)

• موجات سكندرية(منير عتيبة)

• العديد من القصص القصيرة والقصيرة جدا المنشورة لي في العديد من المجموعات الإلكترونية متعددة منها :

• القصة القصيرة بمختبر السرديات (جروب الكاتب والروائي استاذ /فؤاد نصر الدين).

• جروب الرابطة العربية للقصة الومضة (وقد فازت احدي قصصي في المسابقة اليومية كاحسن قصة)(جروب الكاتب الكبير / مجدي شلبي).

• جروب الصالون الثقافي .

• جروب اتحاد الأدباء والمبدعين العرب .

- جروب المتلقي الثقافي العربي.
- جروب الرابطة العربية للقصة القصيرة جدا .
- جروب قصر ثقافة القباري.

الدراسات النقدية

- قمت بكتابة العديد من الدراسات النقدية منها علي سبيل المثال :
- دراسة نقدية عن المجموعة القصصية أولاد الحور للكاتبة د.غادة العبسي والحاصلة علي جائزة الدولة التشجيعية (وقد تمت مناقشتها في مختبر السرديات بمكتبة الإسكندرية)
 - دراسة نقدية عن المجموعة القصصية بهجة مراوغة للكاتبة / سهير شكري
 - دراسة نقدية عن المجموعة القصصية «نصف حالة» والحائزة علي جائزة الدولة التشجيعية للكاتبة / إبتهاال الشايب (وقد تمت مناقشتها في مختبر السرديات بمكتبة الاسكندرية)
 - دراسة نقدية عن المجموعة القصصية روح الحكاية للكاتب والروائي الكبير منير عتيبة (تم نشرها في مجلة أمواج سكندرية الإلكترونية)
 - دراسة نقدية عن المجموعة القصصية الغرفة 20 للكاتبة/ شرين طلعت (قصر ثقافة الشاطبي)
 - دراسة نقدية عن المجموعة القصصية قوس قزح للكاتبة إيمان يونس (قصر ثقافة الشاطبي)
 - دراسة نقدية عن رواية وداعا صديقي المهرج للكاتبة سهير شكري (مركز الحرية للإبداع)
 - دراسة نقدية عن المجموعة القصصية خارج حدود الكادر للكاتبة عبير درويش (مكتبة الملاذ)
 - دراسة نقدية عن المجموعة القصصية زمن بعث المراثي للكاتب محمد عبد الوارث (قصر ثقافة الشاطبي)

- دراسة نقدية عن رواية موجيتوس للأديب منير عتيبة (قصر ثقافة الشاطبي)
- دراسة نقدية عن المجموعة القصصية همزة وصل للكاتبة حنان سعيد (قصر ثقافة الشاطبي)
- دراسة نقدية عن المجموعة القصصية كازانوف المصري للكاتب د.احمد الباسوسي (قصر ثقافة الشاطبي)
- دراسة نقدية عن رواية ارض رشيدة للكاتب عمر سليمان (قصر ثقافة الشاطبي)
- دراسة نقدية عن المجموعة القصصية صفحات مطوية للكاتب فخري أبو شليب (قصر ثقافة الشاطبي)
- دراسة نقدية عن المجموعة القصصية وجبة عشاء لذيدة (مختبر السرديات بمكتبة الإسكندرية)
- دراسة نقدية عن المجموعة القصصية ذاكرة جرح للكاتبة رانيا حمدي (قصر ثقافة الشاطبي)
- دراسة نقدية عن رواية كلاحين الجبل للكاتب أمير مصطفى (مختبر السرديات بمكتبة الإسكندرية)
- دراسة نقدية عن رواية فيوليتا الجنوب والحائزة علي جائزة جمال الغيطاني (قصر ثقافة الشاطبي)
- دراسة نقدية عن المجموعة القصصية «النار» للكاتب أحمد قاصد ضمن الإحتفال بالنشر الإقليمي
- دراسة نقدية عن المجموعة القصصية «حكايات نساء بغداد» للدكتورة نجاة الجشعمي
- دراسة نقدية عن رواية «أنا وكتبي وكلبي» للكاتب فوزي سدره
- دراسة نقدية عن المجموعة القصصية «وجهك الأرابيسك» للكاتبة والناقدة دينا نبيل ضمن فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب

- دراسة نقدية عن رواية ضجيج الضفادع للكاتب سيد نجم
- دراسة نقدية عن المجموعة القصصية «مرايا القلب» للكاتبة شرين طلعت قدمت ضمن فعاليات «مؤتمر سيدات السرد» علي هامش فعاليات معرض إسكندرية الدولي للكتاب 2019
- دراسة نقدية عن رواية «ثأر كريمة» الحائزة علي المركز الأول في مسابقة الإدارة المركزية بالهيئة العامة للكتاب للكاتب محمد عباس علي (مختبر السرديات) أغسطس 2019
- دراسة نقدية عن متتالية «المهجور» للكاتب أحمد قاصد كريم (الأتيليه)

المؤتمرات والأنشطة الأدبية

- المشاركة في العديد من الندوات والمؤتمرات الادبية مثل :
- أيضا قراءات قصصية علي هامش معرض الاسكندرية الدولي للكتاب لعام 2015 بمكتبة الأسكندرية
- وقراءات قصصية بمقر إتحاد الكتاب بحضور لفيف من كبار المبدعين والأدباء السكندريين
- العديد من الندوات بمختبر السرديات بمكتبة الاسكندرية
- العديد من الندوات بقصر التذوق بسيدي جابر
- العديد من الندوات بمعرض الاسكندرية الدولي للكتاب (قراءات قصصية) 2015
- العديد من الندوات بقصر ثقافة الشاطبي
- العديد من الندوات بقصر الحرية للإبداع
- فعاليات حفل توزيع الطبعة الثالثة من معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين والندوات التي علي هامشه بمكتبة الاسكندرية 29-30- ابريل 2014
- تم إستضافتي من قبل برنامج «هذه ليلتي» علي قناة النيل الثقافية

• قراءات قصصية علي هامش معرض الإسكندرية الدولي للكتاب لعام
2018

• تم إستضافتي من قبل برنامج «الرفيق النقدي» لتسجيل حلقتين
الأولي لتقديم طرح نقدي عن رواية «فيوليتا الجنوب » والثانية
لتقديم طرح نقدي عن مجمل أعمال الكاتبة الكبيرة ا. سهير شكري
بتاريخ 2018-9-10

• مسؤولة عن ورشة «تجربة» للكتابة الإبداعية
• قراءات قصصية علي هامش معرض الإسكندرية الدولي للكتاب
2019

شهادات التقدير

- شهادة تقدير من المؤتمر الدولي للقصة القصيرة جدا الأول 2015
 - شهادة تقدير من مؤسسة قلبي الثقافية 2017
 - شهادة تقدير من مكتبة الإسكندرية 2019
- للتواصل مع الكاتبة :
من خلال صفحتي الفيس بوك

الفهرس

- 5.....إهداء أول.....
- 7.....إهداء ثان.....
- 9.....عنه.....
- 11.....صلاة الإخلاص.....
- 13.....كفر الكنبة.....
- 17.....باسيل.....
- 19.....دون أن يدري.....
- 21.....عبور.....
- 25.....منتظرون.....
- 29.....وطن آخر.....
- 31.....شكوكٌ مؤكّدة.....
- 35.....نجم الشمال.....
- 37.....عيون ملؤها الرماد.....
- 41.....عنهم.....
- 43.....فطيمة.....
- 47.....مشجب.....
- 49.....كسور.....

- 53.....توحيدة.
- 55.....فصام.
- 57.....مكـرّر.
- 59.....مكاوي السلكاوي.
- 61.....حبر.
- 63.....ورود وأشواك.
- 69.....سقف.
- 71.....شهامة.
- 73.....انعكاس.
- 79.....لحظات حرجة.
- 81.....الوشم.
- 83.....ندوب.
- 87.....مفترق.
- 89.....اغتراب.
- 91.....الحبّ... حرام.
- 93.....جين تركي.
- 95.....ليالي مقمرة.
- 99.....مدد... مدد.
- 101.....السيد (س).



103.....	مساحة بيضاء
107.....	وجد
111.....	حلم أبتـر
113.....	الكاتبـة في سطور

مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر

دار نشر - دراسات - استشارات - دورات تدريبية
-الإسكندرية، مصر، 44 شارع سوتير، أمام كلية حقوق الإسكندرية
-موبايل: 01018081590 هاتف: 4830903/03
-بريد إلكتروني: levant.egsy@gmail.com
-موقع إلكتروني: www.levantcenter.net
-مركز ليفانت أحد فاعليات شركة ليفانت لتنمية الموارد البشرية، ش.ذ.م.م. وفق
قانون 159 لسنة 1981م ولائحته،
-س ض: 545/584/507، س ت: 9882.

-يهدف المركز إلى العمل على إقامة دورات وورشات عمل وندوات ومحاضرات
ويستثمر في تطوير الموارد البشرية وتنميتها، ويقدم دورات ثقافية وتعليمية متنوعة،
ويهتم بإعداد باحثين في مجال الدراسات الثقافية وعلم الكوديكولوجيا وتحقيق
النصوص التراثية، والاهتمام بأصحاب المواهب في الكتابة السردية والمسرح والسينما،
وتدبير إدارة المركز موقعاً إلكترونياً شاملاً نشاطاتها كلها، علاوة على إتاحتها تحميل
الكتب والمقالات والفيديوهات المختلفة، كما أنّ المركز ينشر المقالات والكتب ورقياً
وإلكترونياً وفق عقد مع أية مؤسسة أو مؤلف إفرادياً.

رقم الايداع: 2019 /15979
الترقيم الدولي: 2 - 69 - 6651 - 977 - 978